وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية

عنوان المذكرة

مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية الحديثة عند العرب

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

من إعداد الطالبتين:

- ✓ زهـــرة ماضـــي
- ✓ نضيرة بولمناخر

إشراف الأستاذ:

- ✓ د:خليفة بولفعة

أعضاء لجنة المناقشة:

1. الأستاذ: محمد صغير.....رئيسا.
2. الأستاذ: خليفة بولفعة.....مشرفا ومقررا.
3. الأستاذ: راشد شقوفي..... .....عضوا مناقشا.

السنة الجامعية

2015 / 2016م

1436 /1437 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الحياة صبر و شكر، و كلاهما اعتراف و توكل تامان على الخالق الرحمن « ... و سيجزي الله الشاكرين» أل عمران الآية 114.

لأجل ذلك:

نحمد الله العلي العظيم الذي سلك بنا سبيل العلم، و وفقنا لإتمام هذا العمل، ثم نشكر الوالدين الكريمين اللذين كان لهما الفصل بعد الله تعالى في مواصلة دراستنا، حيث هيأ لنا كل السبل و حثانا على إنجاز هذا العمل فنسأل الله أن يجزيهما عنّا خيرا و يبارك في عمرهما.

و الشكر الموصول بعد ذلك لأستاذنا المشرف الدكتور خليفة بولفعة على ما أولانا من رعاية و توجيه و صبر في أثناء إنجاز هذه المذكرة و نرجو من المولى عز وجل أن يجعله سبب لإنارة درب الطلبة وخدمة البحث العلمي جزاه الله كل خير كما لا يفوتنا أن نقدم الشكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل.

شكرا

مقدمة

مقدمة:

للفصاحة أهمية كبيرة عند العرب، فقد ترسخ مفهومها في جميع مستويات المعرفة العربية على أنها سمة محمودة مستحسنة، تزين النطق، و تضفي آيات الجمال على العبارة، وهي تمهد لعلوم البلاغة، و لها صلة وثيقة باللغة العربية، فالفصاحة تستند على أسس ثابتة، و قواعد راسخة، ومقاييس مشهورة، منها السماع، والقياس والاستعمال، وهي صفة في لغة المعجزة البيانية الخالدة التي كفلت للعربية حفظها وانتشارها، وضبطها، و العناية بثراتها، وهي الأساس الذي بنيت عليه قواعد اللغة العربية، وبذلك أسهمت في تأسيس الأصول و إقامة الصروح فما من مؤلف في اللغة و البلاغة إلا اتصل بالفصاحة بسبب.

و هذه العناية لم تقتصر على علمائنا القدامى بل امتدت إلى مر العصور، فاسترعت اهتمام الكثير من الدارسين العرب المحدثين و على رأسهم اللغويين.

و هذا ما دفعنا إلى طرح الإشكاليات التالية:

- ما هي الفصاحة ؟

- ما مفهومها عند القدامى و المحدثين ؟

- ما موقعها من الدراسات اللغوية الحديثة ؟

. هل مازال لها الأهمية نفسها عند المعاصرين؟

و كل هذه التساؤلات تبادرت إلى أدهاننا فأردنا لها جوابا.

و للبحث أهمية تتجلى في تفكيك مصطلح الفصاحة، و استقصاء دلالاته في مؤلفات اللغويين، و ذلك لما له من قيمة كبيرة عند اللغويين، والبلاغيين المحدثين الذين ألفوا العديد من الكتب و أقاموا الدراسات كل حسب وجهته العلمية و الفكرية.

و نظرا لهذه الأهمية فقد عرضت للفصاحة دراسات عديدة قديمة و حديثة لا سبيل إلى استعراضها هنا إلا أن كثرتها توضح أهمية معاودة النظر و أهم هذه الدراسات دراسة:

رشاد الحمزاوي في كتابه الفصاحة فصاحات، ودراسة الحاج صالح في كتابه السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة إلا أن أيا من هذه الدراسات لم تتناول الفصاحة بوصفها مصطلحا مستقلا، و لم تخص مفهومها عند المحدثين بمبحث مستقل له كيانه الخاص، كما حاولنا – نحن- من خلال بحثنا هذا.

و لقد كان وراء هذا البحث دوافع و حوافز جعلتنا نختار هذا الموضوع بالذات، و نخوض غماره، كانت أهمها:

سبب موضوعي يتمثل في محاولتنا تقديم بحث ممنهج في إطار إعداد مشروع مذكرة لنيل شهادة ماسستر، وقد حاولنا في هذا أن نتوخى سبيل الموضوعية و الالتزام بها، لنضفي الطابع العلمي على عملنا هذا.

إضافة إلى أن الدراسة في هذا المجال لم تستوف حقها من البحث مما دفع بنا إلى اختيار هذا الموضوع.

أما السبب الذاتي فيتمثل في رغبتنا للإسهام في إثراء المكتبة العربية في هذا المجال، وسد ولو ثغرة صغيرة في مثل هذا النوع من البحوث العلمية.

و لأجل تحقيق ذلك قسمنا بحثنا إلى مقدمة، و فصل تمهيدي، و ثلاثة فصول، و خاتمة، ذكرنا في المقدمة إشكالية البحث، و أهميته، والدراسات السابقة،و دوافع اختياره، و الخطة التي اعتمدناها، و المنهج المتبع فيه، وأهم المصادر و المراجع المعتمدة في البحث، و الصعوبات التي واجهتنا فيه.

و تناولنا بالدراسة و البحث في الفصل التمهيدي الذي كان عنوانه مفهوم الفصاحة: الفصاحة في معاجم اللغة و في القرآن الكريم، و في الحديث الشريف، وفي الشعر، و المثل، إضافة إلى فصاحة القرآن وإعجازه وفصاحة الرسول صلى الله عليه و سلم.

أما الفصل الأول الذي عنوناه بمفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية القديمة فقد اندرج تحته مبحثين فكان الأول بعنوان: مفهوم الفصاحة عند اللغويين، و الثاني بعنوان: مفهوم الفصاحة عند البلاغيين. أما الفصل الثاني فكان عنوانه: مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية الحديثة، قسمناه إلى ثلاثة مباحث الأول: الفصاحة عند اللغويين المحدثين، و الثاني: الفصاحة عند البلاغيين المحدثين، والثالث: بين الفصاحة و البلاغة.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان: الفصاحة في الاستعمالات المعاصرة و قد أدرجنا تحته ثلاث مباحث، الأول: استعمال الفصاحة في المؤسسات، و الثاني: استعمال الفصاحة في وسائل الإعلام، أما الثالث فكان: الفصاحة في الاستعمالات اليومية، مع خلاصة لكل فصل من هذه الفصول.

و في الأخير توصلنا إلى وضع خاتمة للبحث جمعنا فيها أهم النقاط التي استنتجناها من خلال البحث.

و لإنجاز هذه الخطة و الإلمام بالموضوع اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تتبع ظاهرة معينة في فترة زمنية محددة و وصفها وصفا شاملا. ويتجلى ذلك من خلال تتبعنا لمفهوم الفصاحة في مؤلفات اللغويين و البلاغيين ووصفها و تحليلها.

و لقد اعتمدنا لانجاز بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها:

- السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة لعبد الرحمن الحاج صالح.
- الفصاحة في العربية لمحمد كريم الكواز.
- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم لكمال بشر.

و مما لاشك فيه أن كل باحث تصادفه عوائق خلال انجازه لبحثه، و جمع المادة المتعلقة به و نحن في بحثنا هذا اعترضتنا بعض الصعوبات منها أن هذا الموضوع موضوع متشعب وتتكنفه تعقيدات مما يجعل الإحاطة به تحتاج إلى دقة متناهية، أضف إلى ذلك إرتباطنا بالوقت المحدد لإنجازه، وتسليمه، ونحن في هذا لانزعم أننا وصلنا إلى ما نريده تماما إنما هو محاولة متواضعة منا لمعالجة موضوع مثل هذا، والذي لا يزال يحتاج إلى توسيع و تفصيل أكثر فنترك فرصة استكماله إلى أعمال قادمة إن شاء الله .

و في الأخير لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر لكل من أمد لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد و على رأسهم أستاذنا الفاضل خليفة بولفعة الذي كان لنا خير موجه والذي حضينا بشرف متابعته لنا و عنايته بمجهودنا.

الفصل التمهيدي

مفهوم الفصاحة

I. المدلول اللغوي للفصاحة:

1. في معاجم اللغة:

تبين من استقراء مادة(فصح) في معاجم اللغة أن أصلها الذي تفرعت منه هو الخلوص والنقاء، وأن هذه الدلالة تربط مفردات المادة كلها، ويتجلى ذلك في الاستعمالات التي وردت فيها تلك المادة وهي:

جاء في أقدم معجم عربي وهو العين ما يلي:«**ورجل فَصِيحٌ، وفصُح فصاحة وأفْصح الرجل القول. فلما كثر وعُرف أضمروا القول واكتفوا بالفعل(...) ويقال في وصف العجم: أفصح، وإن كان بغير العربية كقول أبي النجم: أعجم في أدانها فِصيحا". يعني صوت الحمار**»[1]

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة:« **الفاء والصاد والحاء أصل يدل على خلوص في شيء ونقاء من الشَّوب. من ذلك: اللسان الفصِيح الطليق، والكلام الفصِيح: العربي، والأصل: أفصَح اللبن: سكنت رغوته، وأفْصح الرجل: تكلم بالعربية. وفَصُح: جادت لغته حتى لا يلحن، وفي كتاب ابن دريد(الجمهرة): أفصح العربي إفصاحًا وفَصُحَ الأعجمي فصاحة إذا تكلم بالعربية**».

وَأُراهُ غلطاً والقول هو الأول.

ويقول:« **أفْصَحَ الصبح إذا بدا ضوؤه، قالوا: وكل واضح مُفصحٌ، ويقال إن الأعجم: مالا ينطق، والفَصِيحُ ما ينطق**».[2]

أما الزمخشري في معجمه أساس البلاغة فقال:« **فَصَحَ: سقاهم لبنا فَصيحا وهو الذي أخذت رغوته أو ذهب لباؤه وخلص منه(...) ومن المجاز سرينا حتى أفْصَحَ الصبح، وحتى جاء به الصبح المفْصِحُ وهذا يومٌ مُفصِحٌ وفِصحٌ: لا غيم فيه ولا قر، وانتظر نُفصِح من شتائنا أي نخرج ونتخلص وجاء فِصحُ النِصارى، أي يوم بروزهم إلى معيدهم، وأفصح الأعجمي: تكلم بالعربية وفَصُحَ، انطلق لسانه بها وخلصة لغتهُ من اللكنة**»[3]

---

[1] الخليل ابن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تحق، عبد الحميد هنراوي، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط.1، ت. 2003م، مج.3، ص 324،323.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب، بيروت لبنان، ط.2، ت، 2008م، مج.2، ص506،507.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، تحق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط.1، ت 1998م، ج2، ص24.

وقد جمع أهم ما قاله أصحاب المعاجم صاحب اللسان فقال:« فَصَحَ: الفصاحة: البيان؛ فَصَحَ الرجل فَصاحةً فهو من قوم فُصحاء . تقول رجلٌ فصيحٌ وكلامٌ فصيحٌ أي بليغٌ، ولسانه فصيحٌ أي طَلَقٌ.وفصُحَ الأعجميُّ، بالضم، فصاحةً: تكلم بالعربية وفُهِم عنه، وقيل جادت لغته حتى لا يلحن، وأفْصح كلامه إفصاحاً(...) وأفْصحَ اللبن: ذهب اللبأ عنه والمفصحٌ من اللبن كذلك، وفَصُح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة.

وأفْصحت الشاة والناقة خَلَصَ لبنها».[1]

وبتتبعنا لماذا (فصح) في هذه المعاجم تبين لنا ما يلي:

أن كلمة فصح تحيلنا إلى معاني متنوعة، ومختلفة منها: طلاقة اللسان، والبيان إضافة إلى حسن الكلام، والسلامة من اللحن.

فطلاقة اللسان تحيلنا إلى عدم وجود عقدة أو عيب ومن تم سهولة التعبير.

ومعنى البيان في قولهم، يحيلنا إلى وضوح الكلام، وفهمه لما يعنيه السامع وذلك بكل سهولة، وهذا ينطبق على لغتنا العربية وغيرها من اللغات. أما قولهم حسن الكلام وبلاغته فالفصاحة هنا مرادفة للبلاغة، وهذا حسب العديد من المعجمين.

وعن قول ابن فارس بالسلامة من اللحن فيمكن القول أنه لا يعقل أن يوصف البليغ باللحن.

[1] ابن منطور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، د.ط، د.ت، مج2، ص544.

2. في القرآن الكريم:

إن أول ما تجدر الإشارة إليه أن مادة(فصح) لم ترد في القرآن الكريم إلا في موضع واحد بصيغة التفضيل على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى:﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** ﴾القصص 34.

وعن تفسير الآية يقول الجاحظ: وسأل الله عز وجل موسى ابن عمران عليه السلام، حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحبسة التي كانت في بيانه﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)** ﴾ طه27 . 28. وقال موسى عليه السلام﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** ﴾ القصص 34.

وقال:﴿ **وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13)** ﴾القصص13 رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة، لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة، ويبلغ أفهامهم عن بعض المشقة.[1]

أما الطبري فقد فسرها بقوله:« يقول أحسن بيانا عما يريد أن يبينه، أي يبين لهم عني ما أخاطبهم به، كما حدثنا ابن حميد، قال: ثناسلم، عن ابن إسحاق" **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً** " القصص34، أي يبين لهم عني ما أكلمهم به، فإنه يفهم مالا يفهمون وقيل: إنما سأل موسى ربه أن يؤيده بأخيه لأن اثنين إذا اجتمعا عن الخبر كانت النفوس إلى تصديقهما أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد».[2]

وقال الزمخشري موضحا المراد بتصديق موسى عليه السلام:« ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى، وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطقي ذو العارضة، فذلك جاري مجرى التصديق المفيد، كما يصدق القول بالبرهان، ألا ترى في قوله تعالى:﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي** ﴾ القصص 34. وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقل يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه، فأسند التصديق إلى هارون لأن السبب فيه إسناد مجازي».[3]

---

[1] الجاحظ، البيان والتبين، تحق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط.7، ت1998م، ج1، ص7.

[2] الطبري، جامع البيان، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، د.ط، د.ت، ج18،ص 249.

[3] الزمخشري، الكشاف، تحقق، عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط.1،ت1998م، ج.4، ص 501.

وقتفى النيسابوري أثر الطبري في بيان المراد بأفصح فقال:« أحسن بياناً وكان في لسان موسى ولذلك قال فرعون" **وَلا يَكَادُ يُبِينُ** " الزخرف52.».[1]

وجاء في تفسير حدائق الروح والريحان للشافعي" وأخي هارون" بن عمران" **هُوَ أَفْصَحُ** " وأبين" مني لسانا"؛ أي كلاما وكان في لسان موسى عقدةً من قبل الجمرة التي تناولها وأدخلها فاه، تمنعه من إعطاء البيان حقه، ولذلك قال فرعون" ولا يكاد يبين" (**فَأَرْسِلْهُ**)؛ أي: فأرسل أخي هارون إلى فرعون وقومه "معي" حال كونه "رِدْءًا" أي: معين مصدق لي بتلخيص الحق، وتقرير الحجة وتوضيحها وتزيف الشبهة وإبطالها. يؤيد ذلك المعنى قوله تعالى" **هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً** " لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره.

وفسر الزمخشري المعنى الإجمالي للآية أي: قال: يا رب إني قتلت من قوم فرعون نفسا فأخاف إن أتيتهم ولم أبن عن نفسي بحجة أن يقتلوني لأن ما في لساني من عقدة يحول بيني وبين ما أريد من الكلام، وأخي هارون هو أفصح مني لساناً وأحسن بياناً، فأرسله معي عوناً يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل هؤلاء الجاحدين المعاندين، وإني أخاف أن يكذبوني ولساني لا يطاوعني حين المحاج.[2]

وقد ورد في تفسير الجلالين﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً** ﴾ القصص 34 بمعنى أبين.[3]

[1] النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحق، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرون، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط.1، ت1994م، مج3، ص399.

[2] الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان، تحقق، هشام سهري، دار طوق النجاة، بيروت لبنان، ط.1، ت2001م، مج.21، ص164،165.

[3] السيوطي وجلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان، ط.1، ت.2007م، ص389.

3. في الحديث:

– وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم:« **غُفرله بعدد كل فصِيح وأعجَم**» فأراد بالفصيح بني آدم وبالأعجم البهائم هكذا فسر في الحديث وعقب مجد الدين ابن لأثير والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه.[1]

إن معنى فصيح في الحديث يختلف عما أورده ابن الأثير، ذلك أن المراد به أولا هو البيان عموما فيكون الإنسان مهيئا أو ناطقا في حين لا تكون البهائم على هذه الصفة.[2]

ويقول الجاحظ في تفسير الحديث:« الفصيح هو الإنسان والأعجم كل ذي صوت لا يفهم إرادته إلا ما كان من جنسه(...) والإنسان الفصيح وإن عبر عن نفسه بالفارسية أو الهندية(...) فكل إنسان من هذا الوجه يقال له فصيح(...) وإذا قالوا: العرب والعجم، ولم يلفظوا بفصيح وأعجم، فليس هذا المعنى يريدون، إنما يعنون أنه لا يتكلم بالعربية وإن العرب لا تفهم عنه»[3]ومنه فالأعجم نقيض الفصيح.

ويقول صلى الله عليه وسلم« **أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت من بني سعد بن بكر**»[4] وفيه اسم التفضيل يدل على شدة الخلوص وأن قريشا وسعد بن بكر موصوفتان بالفصاحة وحديثه صلى الله عليه وسلم تأكيد للمدح بما يشبه الذم.

---

[1] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط.1، ت.2002م، ص18، نقلا عن: النهاية في غريب القرآن والأثر، ج.3، ص450.

[2] المرجع نفسه، ص18.

[3] الجاحظ، الحيوان، تحق، عبد السلام هرون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط.3، ت.1969م، ج.1، ص32.

[4] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، ص18، نقلا عن ، الفائق في غريب الحديث، ج 1، ص2.

4. في الشعر:

وردت مشتقات مادة (فصح) في الشعر كثيرا ومنه قول حميد بن ثور الهلالي يصف حمامةً:

عَجِبت لها أنّى يَكون غناؤهَا فَصيحًا ولم تفغَر بمنطِقهَا

وفي قوله:

إذا نادى قرِينته حمَام جرى لصَبابتِي دمعٌ سَفُوحٌ

يُرجع بالدعاء عليَّ غُصون هَتوف بالضحى غردٌ فصيحٌ[1]

والفصاحة هنا بمعنى الخلوص

وقول ابن مقبل:

ولو كَلمت دهماء أخرس كاظماً لبين بالتكلم أَوْ كَان يُفْصِح.[2]

والإفصاح هنا عموم البيان

وقول أبي عطاء السندي:

فاكفني ما يضيق عنه روايتي بفَصِيح من صالحي الغِلمَان.[3]

وقول أبي نواس:

وجَدتُ ألذَّ عَارية الليالي قَران النّغم بالوَترِ الفَصِيح.[4]

وقول ابن المعتز يصف خيلا:

قاصِداتٍ كل شرقٍ وغربٍ ناطقاتٍ بالصهيل فِصاحًا.[5]

وهي من الخلوص أيضًا.

وقول أبي الطيب المتنبي في مدح ابن العميد:

خَلقَ اللّه أفصَحَ الناس طَرَاً في مكانٍ أعْرابُه أكرادُه[6]

أراد بأفصَح الناس: الممدوح، وبالأكراد: أهل فارس

---

[1] حميد بن ثور الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي،تحق،محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت لبنان، ط.1، ت.1995م، ص25.

[2] ابن مقبل، ديوان ابن مقيل، تحق عزة حسن،دار صادر، بيروت لبنان، ط.1، ت1962م، ص95.

[3] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية،(مرجع سابق)، ص19، نقلا عن الأغاني، ج.17، ص246.

[4] أبي نواس،ديوان أبي نواس،تحق،علي فاغور، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط.3، ت2002م، ص126.

[5] ابن المعتز، ديوان ابن المعتز،تحق،يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت لبنان، ط.1، ت1995م، ص192.

[6] المتنبي،ديوان المتنبي، تحق، مصطفى السقا،دار صادر، بيروت لبنان، ط.2، ت2008م، ص341.

والفصاحة هنا نقيض العجمةِ.

وقوله أيضًا:

كَأن المعَاني في فَصَاحةِ لفظِها نُجومُ الثُريَا في خَلائِقك الزهرُ[1]

والبيت الشعري في معناه:

حسن لفظه كالثريا، لاستشهاده بين الناس وأن كل واحد يعرفه، وأخلاقك زهرة مضيئة، لا ينكرها أحد من الناس، كذلك أشعارك.

وفصاحة اللفظ هنا تعني: خلوصه مما يشوبه.

وقوله في مدح مساور بن محمد الرومي:

جُهدُ المقل فكيف بابن كَريمةٍ تُوليه خيراً واللسانُ فصيحٌ[2]

واللسان فصيح بمعنى: طليق.

5. في المثل:

وردت لفظة أفصح في المثل، فيقال:« أفصح من العضين» وهما دغفل وابن الكيس اللّذان قال فيهما الشاعر:

أحَادِيث عن أبنَاءِ عادٍ وجرهمٍ يَثورها العضَان: زَيد ودَغفَل

يقال للرجل الداهي: عِض، وقد عضضت يا رجل، أي: صرت عضًّا

ومعنى الفصاحة في هذا المثل هي: طلاقة اللسان.[3]

ونستنتج من هذه التعريفات جميعا أن معنى الفصاحة هو الخلوص، فاللبن الفصيح يعني الخالص من الشّوائب، والرجل الفصيح يُراد به الخالص ممَا يُعيق لسانه، ويحول دون طلاقته وكذلك الكلام الفصيح الذي يراد به الكلام العربي الخالص من العُجمة. هذا من جهة، أمَا من جهة أخرى فالإبانة والظهور والبروز هي معاني

[1] المتنبي،ديوان المتنبي(مصدر سابق) ، ص128.

[2] المصدر نفسه ، ص341.

[3] أبو الفضل بن أحمد الميداني، مجمع الأمثال، تحق، جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت لبنان، ط.1، ت2002م، مج.2، ص44.

تندرج تحت الخُلوص، ومن ذلك أفْصَح الصبح أي بدا ضوؤه وكذلك يوم مُفصِح لا غيْم فيه ولا قر، وجاء فَصح النصارى؛ أي يوم بروزهم إلى معيدهم.

وأما لفظة أفصح في القرآن الكريم والحديث الشريف فهي تدل على طلاقة اللسان وكما الخلوص وصفًا لسلامة آلة النطق، وصفاء الكلام، إضافة إلى ورودها بمعنى الإنسان في مقابل الأعجم بمعنى البهائم، وكذلك ما ورد في الشعر والمثل من اشتقاقات مادة فصح التي لم تخرج عن معنى الخلوص وعموم البيان.

II. المدلول الاصطلاحي للفصاحة:

والفصاحة في الاصطلاح هي:" الألفاظ الظاهرة البينة القابلة للفهم، المأنوسة في استعمالها من لَدُن الشّعراء والكتاب لمكان حسنها في النّظم والتأليف".[1]

أي أن الفصاحة ترتبط لا محالة بالكلام الظّاهر البين، الذي تكون كلماته وتراكيبه مفهومة، مألوفة متداولة الاستعمال بين الأدباء في كلامهم فضلا عن سهولة استيعابها وفهمها من طرف السامع وذلك لوضوحها وابتعادها عن الغموض.

وقد جاء في معجم المصطلحات العربية: الفصاحة: أن تكون كل لفظة في الكلام بيّنة المعنى، مفهومة، عذبة، سلسة، متماشية مع القواعد الصرفية حيث جعل الفصاحة في ثلاثة أمور: فصاحة التراكيب، فصاحة الكلمة، فصاحة المتكلم، فالفصاحة باختصار هي الكلام الواضح المعنى البين الغرض الذي تجري ألفاظه على قواعد اللغة.[2]

[1] حميد أدم ثويني، البلاغة العربية، دار المناهج، عمان الأردن، ط.1، ت2007م، ص32.

[2] ينظر، مجدي وهبة كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان بيروت، ط.2، ت1984م، ص273.

فصاحة القرآن الكريم وإعجازه:

القرآن هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز ولو بسورة منه"

و الإعجاز من أعظم خصائص القرآن، حتى لو عرف القرآن بهذه الصفة:" الكلام المعجز" لكفى ذلك لتمييزه والتعريف به[1]

ولقد مدح الله عز وجل القرآن بالبيان، والإفصاح، وبحسن، التفصيح، والإيضاح، وبجودة، الإفهام، والحكمة، البالغة، وسماه فرقانا كما سماه قرآنا، وقال﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** ﴾ الآية 113 من سورة طه وقال أيضا:﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ الآية 89 من سورة النحل. كما ذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام وحال قريش في البلاغة، والمنطق ورجاحة الأحلام، وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والمكر ومن بلاغة الألسنة واللّذذ عند الخصومة فقال تعالى:﴿ **فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ** ﴾ الآية19 من سورة الأحزاب. وقال: ﴿ **وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً** ﴾ الآية 97 من سورة مريم، ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم يقول: ﴿ **وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ** ﴾ الآية 04 من سورة المنافقين.[2] فمع أنهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشرية من الكلام الفصيح الوجيز البليغ[3] فعجزوا عن معارضته والإتيان بسورة من مثله في الحديث والقديم فكذبوه وعاندوه وقذفوه بالجنون والشعر والسحر، فكيف يترك من هذه حال معارضته؟ وهو قادر عليها ومماثلته وهو واصل إليها؛ هذا وهو ينادي عليهم بقوله:﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ الآية **(88)** الإسراء. فوصفهم بالجهل والعجز ورماهم بالكذب والافتراء أليس هذا مما يحملهم على المعارضة لو كانوا قادرين عليها ومما يجدبهم إلى المناظرة لو وجدوا سبيلاً إليها.

ورأوا فيه نظامًا عجيبا خارج عن أساليب كلامهم ووصفًا بديعًا مباينًا لقوانين بلاغتهم ونظامهم فستشعروا العجز عن مقابلته، وهذا هو الوجه في إعجاز القرآن كما قال بعضهم:" القرآن لا يدركه عقل ولا يقصر عنه فهم".

---

[1] نور الدين عتر، علوم القرآن، مطبعة المصباح دمشق، ط.1، ت1993م، ص ص 10-12.

[2] الجاحظ، البيان والتبين،(مرجع سابق)، ص20-21.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق، سامي بن محمد السلام، دار طيبة للنشر، الرياض. السعودية، ط.1، 1997، ج.1، ص20.

ولكن إعجاز القرآن من قبل أنه خارج في بديع نظمه وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر مختص بنمط غريب لا يشبهه شيء من القول في الرصف والترتيب لا هو من قبيل الشعر ولا هو من ضروب الخطب والسجع، يعلم من تأمله أنه خارج عن المألوف مباينا للمعروف متناسب في البلاغة متشابه في البراعة بريء من التكلف منزه عن التصنع والتعسف.[1]

ويرى الرازي أن كون القرآن معجز فيه أربعة مذاهب:

فالأول: قول النظام إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله سبحانه وتعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به، ويدل على فساد ذلك وجوه ثلاثة:

الأول: أن عجز العرب على المعارضة لو كان لأن اللّه أعجزهم عنها بعدما كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم.

والثاني: هو أنه لو كان كلامهم مقارب في الفصاحة قبل التحدي لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك.

والثالث: أن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل فمعلوم أن العرب مازالت عقولهم بعد التحدي فبطل ماقاله النظام.

ومن الناس من جعل الإعجاز في أسلوبه مخالف لأسلوب الشعر والرسائل لاسيما في مقاطع الآيات مثل: يعلمون ويؤمنون وهو باطل من خمسة أوجه:

الأول: لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً.

والثاني: أن الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بغيره.

والثالث: يلزم أن الذي تعاطاه مسيلمة من الحماقة في: إن أعطيناك الجماهر فصلي لربك وجاهر" في أعلا مراتب الفصاحة.

[1] علم الدين السخاوي، جمال القرآن وكمال الإقراء، تحق، عبد الحق سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط.1، د.ت، مج.1، ص ص 205-209.

والرابع: أنه لما فاضلنا في قوله تعالى:﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ الآية179 البقرة وبين قولهم القتل أنفى للقتل لم تكن المفاضلة بسبب الوزن والإعجاز إنما يتعلق بما به ظهرت الفضيلة.

والخامس: هو أن وصف بعض العرب القرآن بأن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب.

ومنهم من جعل الإعجاز في أنه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وهو أيضًا باطل لأن التحدي كما وقع بالقرآن كله فقد وقع بالسورة وقد يوجد في خطبهم ما مقداره سورة الكوثر.

ومنهم من قصر وجه الإعجاز على اشتماله على الغيوب ، وهو باطل لأن التحدي قد وقع بكل سورة ، والإخبار عن الغيوب لم يجد في كل سورة ولما بطلت هذه المذاهب ولابد من أمر معقول حتى يصبح التحدي به ويعجز الغير عنه ويبقى وجه معقول في الإعجاز سوى الفصاحة علمنا أن الوجه في كون القرآن معجزا هو الفصاحة.[1]

فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم:

فصاحة سيد الفصحاء محمد(ص) ما كانت مثار جدل أو خلاف، ولم نجد في الأخبار ما يقدح فيها سواء أكان ذلك من أتباعه أو من غيره، والأخبار التي تتحدث عن فصاحته تنحصر في مناحٍ ثلاثة:

فأما الأول: فهو عن الأحاديث التي رويت عن النبي (ص) وأكثرها شهرة قوله:" أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" كذلك فإن من الأحاديث التي تبين فصاحته قوله" وأتيت جوامع الكلم"

وبهذا يتضح أن بعض أحاديث الرسول نفسه تدل على فصاحته.

و أما المنحى الثاني: فهو ما لاحظه أصحاب الرسول-صلى الله عليه وسلم- من أنه يمتلك ناصية الفصاحة كقول بعضهم: " (...)يارسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال: وما يمنعني، وإنما أنزل القرآن بلساني، لسان عربي مبين وهذا الحديث يحتمل العبارتين التاليتين:" الأولى: أن العربية هي لغة الفصاحة، والثانية: أن القرآن بما فيه من فصاحة إنما هو بلغة عربية وفي هذا وتلك إشارة ضمنية إلى أن القرآن الكريم هو سبيل من سبل الفصاحة كذلك فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاحظ هذه الصفة في النبي صلى الله عليه وسلم فقال متعجبا:« **ما رأيت أفصح منك**» فتبين مما مر أن مزية الفصاحة في النبي شهد له بها بعض الصحابة.

[1] فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الأداب، القاهرة، د.ط، ت1987م، ص ص 05-07.

وأما المنحى الثالث: فهو ما نص عليه العلماء تصريحًا أو تلميحًا من أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أفصح العرب، ومن ذلك ما ذكره الجرجاني فقال:« فلم يشك أحد أنه صلى الله عليه وسلم كان منقوصًا في الفصاحة بل التي أتت به الأخبار أنه كان أفصح العرب».

وهكذا نرى أن فصاحة النبي ثابتة دلت عليها أحاديث الرسول نفسه وأقوال الصحابة وشهادات أهل العلم.

ومما يدل على أن مزية الفصاحة قوية في النبي راسخة في طبعه، قدرته على الارتجال في اللغة وتصرفه فيها .

ومن مظاهر فصاحته أيضا تجنب التكلف والتزيد فلا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبعد كلامًا منه من الحشو والتكلف.

كل ما تقدم يؤول بنا إلى نتيجة واحدة وهي أن محمد بن عبد الله كان صاحب مزية في الفصاحة.[1]

والملاحظ في فصاحة الرسول الكريم أنها تنبع من أصلين اقتضتهما الحكمة الإلهية في رسولٍ معجزته الكلمة.

أولهما: التوفيق الإلهي، إذ ابتعثه الله تعالى للعرب وهم أئمة البيان، لا تنقطع بهم حجة، ولا يعوزهم منطق بليغ وفيهم الفصاحة على درجات، فمنهم الفصيح ومنهم الأفصح.

ثانيهما: النشأة اللغوية، فهو من قريش وأخواله نم بين زهرة، واسترضع من بني سعد بن بكر، وخالط في حياته بطون قريش والأنصار، فكانت هذه النشأة مرانًا حيا وتمرسًا بأحسن الأساليب وأفصح اللهجات.[2]

[1] عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللغة والنحو، دار جديد، عمان الأردن، ط.1، 2008م، ص ص 41،44. نقلا عن، الفاضل، ص113.

[2] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية،(مرجع سابق)، ص100، نقلا عن، تاريخ آداب العرب، ج.2، ص483.

الفصل الأول

مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية القديمة

يعد مفهوم الفصاحة من المواضيع التي تناولتها الدراسات القديمة العربية بالطرح و التحليل و المعالجة وذلك لما له من قيمة كبيرة عند اللغويين و البلاغيين الذين ألفوا العديد من الكتب في موضوع الفصاحة كل حسب وجهته العلمية والفكرية، و سنتطرق لهم حسب الترتيب الزمني:

المبحث الأول: الفصاحة عند اللغويين.

1. سيبويه ـ180هـ ـ

يعتبر الكتاب لسيبويه أقدم كتاب وصل إلينا في النحو لأنه يحتوي على أقدم تصور علمي لغوي عربي وهو في اعتقادنا أكثر الأعمال العلمية أصالة في ميدان العربية، و على الرغم أننا لم نجد تعريفا يخص الفصاحة إلاّ أننا عثرنا في ثنايا الكتاب على عبارات تتضمن مفردات تنتمي إلى مادة (ف. ص. ح)[1].

مثل: « سمعنا ذلك من فصحاء العرب »[2]« سمعنا فصحاء العرب يقولون»[3] فهذه العبارات التي تحتوي على مادة (ف.ص.ح) « صفة لفصحاء العرب»لها سياق مرجعي واحد و هو السماع لهؤلاء العلماء.[4]

كما نجد أن سيبويه استعمل عبارات أخرى من مثل: « سمعنا ممن يوثق بعربيته»[5]. « قوم من قيس وأسد ممن ترضى عربيتهم»[6].لها نفس المعنى إذ تقع كل من هذه العبارات موقع الأخرى فكل هؤلاء هم جماعة معينة من العرب.[7]

---

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، ت.2007 م،ص ص 29. 30.

[2] سيبويه، الكتاب،تحق، عبد السلام محمد هارون، الخانجى، القاهرة، ط.3، ت.1988 م، ج1، ص2.

[3] المصدر نفسه، ص 477.

[4] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،ص31.

[5] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 36.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص 262.

[7] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)، ص33.

و يبدو أن سيبويه، يقصد بعبارة فصحاء العرب: الذين لم تتغير لغتهم وهذا التغيير في لغة غير الفصحاء هو خطأ ولحن وللفصاحة عند سيبويه مدلولين هما:

- صفة من يرتضي لغتهم كل من ينطق بنفس اللغة على أصلها من دون تغيير.
- و بالتالي عدم وجود أي شيء في لغته لا ينتمي إلى لغة هؤلاء الناطقين. وكلا هذين المدلولين يخص السلامة اللغوية.[1]

كما يحفل الكتاب بوفرة في إطلاق الألفاظ الدالة على الجودة وهي (جيد) و (أجود)، وقد يسبقه أو يعقبه لفظ عربي وقد تزاد صفة أخرى مثل قوله « عربي جيد كثير»[2]و « أحسن وأجود».[3]

أما صلة الجودة بالفصيح فلم نعثر على نص صريح يدل على أن سيبويه يريد الفصيح إذا ما أطلق أحكام الجودة، إلاّ أن هناك قرائن تدل على وجود صلة بين الجودة و الفصيح عنده:

أولى القرائن أن وجدنا سيبويه ينعت اللغة الحجازية بالجودة[4] وذلك في قوله: «...**وهي اللغة العربية القديمة الجيدة**»[5]ويرجح أن يكون الجيد في هذا ومثله هو الفصيح.

و الثانية من القرائن تتضح من خلال قول سيبويه[6]: « **النصب عربي جيد و الرفع أجود منه.**

---

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)، ص ص 35-36.

[2] سيبويه، الكتاب، ج1،(مرجع سابق)، ص 288.

[3] المصدر نفسه، ص 84.

[4] ينظر، عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللغة والنحو،(مرجع سابق)، ص 77.

[5] سيبويه، الكتاب، ج4، ص 433.

[6] ينظر، عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللغة والنحو، ص 78.

يعني أن النصب في قوله: زيد ضربته، عربي فصيح في كلام العرب » [1]

و الثالثة من القرائن هي اقتران الجودة بصفات معيارية أخرى من مثل « أجود و أكثر»[2] كقوله: « وعلم أن ردّ هو الأجود الأكثر لا يغير الإدغام المتحرك كما لا يغير في فَعْل و فَعِل ونحوهما»[3]

و يقرن سيبويه الأكثر بالأفصح[4] فيقول: « **و ما جرى نعتا على غير وجه الكلام: (هذا جُحرُ ضَبٍ خرِب) فالوجه الرفع، وهو أكثر كلام العرب و أفصحهم وهو القياس لأن (الخرب) نعت و(الجحر) رفع ولكن بعض العرب يجُره**».[5]

و منه نجد أن هناك صلة واقتران بين الكثرة و الأفصح عند سيبويه، و تدل بعض النصوص أن «أعرب» عنده هي بمعنى أفصح.

يقول في معرض حديثه عن نهج بعض العرب الذين يبدلون تاء الضمير طاء إذا ما جاور حرف إطباق [6] «**ذلك قولهم: فَحَصْطُ برجلي، و حِصْطُوْ عنه وخَبَّطُهُ يريد حصت عنه و خبطته. وأعرب اللغتين أجودهما أن لا تقلبها طاء، لأن هذه التاء علامة الإضمار إنما تجئ بمعنى** » [7] ويبدو أنه يفرق بين رتب كثيرة في (أعرب) منها (عربي) و (عربي حسن) و(عربي كثير).

ومما مرّ يتبين أن سيبويه يكثر من إطلاق هذا المصطلح ويفرق بين رتب متعددة فيه و يستعمله بمعنى أفصح.

---

[1] ينظر، عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللغة والنحو،(مرجع سابق)، ص 78 نقلا عن، شرح المفصل، ج2، ص 131.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 78.

[3] سيبويه، الكتاب، ج4،(مصدر سابق)، ص 423.

[4] عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللغة و النحو، ص 100.

[5] سيبويه، الكتاب، ج1،ص 36.

[6] ينظر، عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللغة و النحو، ص 143.

[7] سيبويه، الكتاب، ج3، ص ص 471 – 472.

ويكون العربي عنده أفصح عندما يكون كلامه أبين و أوضح بالنسبة لأكثر العرب و لا يطلق سيبويه على كلامهم بأنه فصيح أو أفصح بل يصف الكلام الفصيح دائما بأنه عربي أو عربي جيد أو كثير أو أعرب و أكثر.

نستنتج مماسبق أن مصطلح الفصاحة ومايشتق منه كان يقصد به عند سيبويه المدلولات التالية:

ـ صفة من ترتضى عربيته؛ فالناطق العربي للفصيح يوثق بلغته، ويؤخد بها، إذا توفرت فيها السلامة اللغوية،والاستعمال الكثير المعروف من كلام الفصحاء، والسليقة الخاصة بالفصيح، بمعنى اكتسب العربية الفصحى من بيئته التي نشأ بها

2 . ابن السكيت ـ344هـ ـ:

إنّ المتتبع لكتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت سيلاحظ أن مفهوم الفصاحة عنده لا يخرج عما أرساه سيبويه، فهي تدل عنده على صفة من ترتضى عربيته وكذا السلامة اللغوية، و الاستعمال الكثير المعروف من كلام الفصحاء غير أن ابن السكيت لم يقصر صفة الفصيح على العربي كما فعل سيبويه، بل جعلها صفة للغات ومن ذلك قوله : «**و تقول هي اللبؤة، فهذه اللغة فصيحة، و لَبْوة لغة**»[1]**وقوله أيضا « وهو فَقَار الظهر والواحدة فَقَارة، ولا تقل فِقَارة ولا فِقار، وذو الفِقَار: سيف النبي صلي الله عليه وسلم، ويقال للفَقار أيضا فِقْر، والواحدة فِقْرة، ويقال فَكَاكُ الرهن و فَكاكُ الرقبة، هذه اللغة فصيحة و الكسر لغة**»[2]

ومن خلال القولين يتبين أن ابن السكيت يُورد في أمثلته لغتين يصف الأولى بالفصيحة و يكتفي في الثانية بتسميتها لغة.

[1]ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحق، أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، د. ط، د. ت، ص 146.

[2]المصدر نفسه، ص 162.

ويصف ما يكثر استعماله وتقابله لغة أخرى بأنه الكلام أو الكلام المستعمل و مثال ذلك «**و يقال ليس بيني و بينه وجِاحٌ و وجَاحٌ و إجَاحٌ و أَجَاحٌ و أُجَاحٌ، أي: ليس بيني و بينه ستر. وهو جَهاز العروس،وقال بعضهم هو جِهاز العروس و الكلام الفتح** »[1].

فابن السكيت هنا استعمل لفظة الكلام لدلالة على استعمال وتداول لفظة وَجاح بالفتح،وعليه فالكلام عنده يعني ما كثر استعماله.

و فيما جاء عنه قد يقابل الفصيح، والكلام، أو كلام العرب، أو الكلام المستعمل، كلام العرب أكثر، لاعتباره لغة من اللغات (أي الكلام لبعض العرب وقد يكون كلامهم قليلا) بل كلاما ينسبه إلي العامة (وهي غير العامة بمعني أكثر الناس) ويُسميهم أيضا المولدين[2]، و من ذلك قوله: «**الفرَّاء: هو الشَّمَع، هذا كلام العرب و المولدون يقولون شَمْع بإسكان الميم**»[3] .

ومنه فكلام المولدون لا يُعتد به في الفصاحة لأنه يخالف كلام العرب الفصحاء.

فهو بذلك يجعل لفظة المولدين و العامة مقابل الفصحاء وكلام العرب الأكثر، فقد وجدناه يُعنونُ أحد فصول كتابه ب :«**ما جاء على فَعلت بالفتح وما تكسره العامة وتضمه وقد يجيئ في بعضه لغة إلاّ أن الفصيح الفتح**»فيتحدث في هذا الفصل عن الألفاظ والكلمات التي ينطقها العامة بالكسر أو الضم و فصيحها يكون بالفتح[4] .

---

[1] ابن السكيت، إصلاح المنطق (مصدرسابق)، ص 104.

[2] ينظم، عبد الرحمن ، السماع اللغوي العلمي عند العرب، و مفهوم الفصاحة (مرجع سابق) ص 44.

[3] ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص 163.

[4] المصدر نفسه، ص 188.

و وردت لفظة الفصاحة عنده على صيغة التفضيل أفصح بأسنانه حفر بالتخفيف وهو أفصح من حفر وبنو أسد يقولون حفر ووردت هذه الصيغة أيضا في عنوان أحد فصوله ،ما جاء على فعل فكان هو الأفصح وجاء بالضم.

فهذا يدل على أن ما يوصف بالأفصح يقتضي أن يكون ما يقابله فصيحا أيضا، وربما يكون لغة إلاّ أنه لا يمكن أن تكون لغة رديئة بل لغة عربية جيدة و هناك عنوان ثالث يحمل لفظة الفصيح: «**ما جاء على فَعِلت فكان هو الفصيح لا يتكلم العرب بغيره ومنه ما جاء على فعلت و كان الفصيح الأكثر و من العرب من يفتح**»[1].

و القرآن عند ابن السكيت هو اللغة الفصيحة بل يورد نصوص القرآن كمقياس يعرف به الأفصح من اللغات، ومن ذلك: «تقول سخرت من فلان، فهذه اللغة الفصيحة قال جل ثنائه: ﴿ **إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾**هود38**(...)« **و تقول نصحت لك وشكرت لك فهذه هي اللغة الفصيحة** »[2].

فاللغة الفصيحة عنده هي ما ورد منها في القرآن، فالقرآن عنده مقياس لمعرفة الجيد أو الفصيح من اللغات.

و وجدنا ابن السكيت يصرح بأن لغة أهل نجد هي أفصح اللغات فيقول: «يقال ضللت يا فلان فأنت تضل ضلالا وضلالة قال الله عز و جل: ﴿ **قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي** ﴾سبأ50. فهذه لغة أهل نجد وهي الفصيحة وأهل العالية: ضللت»[3].

فجعل لغة أهل نجد أفصح اللغات لكثرة من يقول بها من العرب وكذلك لما ورد منها في القرآن وفي الشعر.

---

[1] ينظر،عبد الرحمن الحاج صالح، السماع، للغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة، (مرجع سابق)، ص 45.

[2] ابن السكيت، إصلاح المنطق،(مصدر سابق)، ص 181.

[3] المصدر نفسه، ص 206 ، 207.

إنّ مدلول الفصاحة عند ابن السكيت ينطبق على كلام العرب الذي لا يتكلم الفصحاء بغيره فهي صفة من ترتضى عربيتهم، كما يجعلها صفة للغات و سببا في وضع الفوارق لمعرفة الجيد منها، كما أن القرآن الكريم عند ابن السكيت هو اللغة الفصيحة و مقياس يعرف به الفصيح من كلام العرب.

3 . ابن جني ـ392هـ ـ:

عاش ابن جني في القرن الرابع هجري، وهو القرن الذي انتهي فيه الاحتجاج فلم يعد للفصاحة مكانا يفزع إليه حاضرة أو بادية، لكنه كان أمام ثرات هائل من الشعر، و اللغة، و النحو، و علوم القرآن فأفاد منها في كتبه ومؤلفاته ، وانعكس على الفصاحة و مقاييسها فالاستعانة بالمقولات اللغوية والنحوية والصرفية أمور لا بد منها في تميز الفصيح من سواه وسنحاول استطلاع حال العربية الفصحى وما استجد من أمور الفصيح ومقاييسه، من خلال كتابة الخصائص.

فعلى الرغم من أن موضوع الكتاب لا يتناول مفهوم الفصاحة كمصطلح أو كعلم مستقل بحد ذاته، إلاّ أننا وجدنا في ثنايا كتابه عبارات وألفاظ تدل علي مادة "فصح" و مدلولاتها، فقد اعتنى ابن جني بالفصاحة ويتضح لنا ذلك من خلال قوله «**سألت مرة الشجري أبا عبد الله و معه ابن عم له دونه في فصاحته، وكان اسمه غصنا، فقلت لهما: كيف تحقران: حمراء؟ فقالا: حميراء فقلت فسوداء،فقالا سويداء، وواليت في ذلك أحرفا وهما يجيبان بالصواب، ثم دسست في ذلك علباء، فقال غصن: عَليباء و تبعه الشجري، فلم همّ بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال: أه عُليبي**»[1].

نلاحظ من خلال قول ابن جنى أنه كان يمتحن فصاحة الأعراب لينتقي الفصيح منها.

[1]ابن جني، الخصائص، تحق، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، د. ط، د. ت، ج2، ص 36.

ونجد أن ابن جنى يكثر من الاستشهاد بالقرآن و يضعه في المرتبة الأولى لأنه أفصح الكلام، ومن ذلك قوله: «**و كذلك حذف المضاف قد كثر، حتى إنّ في القرآن – وهو أفصح الكلام – منه أكثر من مائة موضع، بل ثلاثمائة موضع، وفي الشعر منه ما لا أحصيه**»[1].

فابن جنى يجعل من لغة القرآن معيار لمعرفة الفصيح و يوليه الأولوية ويقتفي باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر أنه لا يمكن الأخذ عن أهل الحضر بسبب الاختلاف و الفساد و الخطر الذي أصاب أهل المدر فأبعدهم عن الفصاحة، و الأمر نفسه بالنسبة لأهل البادية لأن الفصاحة غابت من ألسنتهم في وقته كما قال «**لا نكاد نرى بدويا فصيحا، فالفصاحة عنده هي تجنب الزيغ و الاضطراب و الخلل و الفساد**»[2].

ويري ابن جني أنه لابد من الحذر في تمييز الفصيح من سواه فيقول : «**فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه، بل تأمل حال مورده وكيف موقعه من الفصاحة فحكم عليه و له**»[3].

و في القول دعوة إلي عدم قبول الظواهر كما هي بل يجب التأمل في موردها و موقعها من الفصاحة ثم نحكم عليها.

و لهذا نجده لم يأخذ عن بدوي إلاّ بعد أن يمتحنه ويتثبت من أمره و صِدق نَحِيزَته، و لا سيما أن فصاحة أنت معاصريه هي موضع شك وارتياب عنده. [4]

كما يري أنه قد يقع في كلام الفصيح بعض ما هو رديء وهو ما أشار إليه بقوله: «**ولا أدفع أيضا من هذا أن يسمع الفصيح لغة غيره مما ليس فصيحا، وقد طالت عليه وكثر لها استماعه فسرت في كلامه ثم تسمعها،**

---

[1] ابن جني،الخصائص،(مصدر سابق)، ج1، ص 34.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ج2، ص 65.

[3] المصدر نفسه، ص 10.

[4] ينظر، عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللغة و النحو،(مرجع سابق)، ص 277.

وقد قويت عندك في كل شيء من كلامه غيرها فصاحته فيستهويك ذلك إلى أن تقبلها منه على فساد أصلها الذي وصل إليها منه»[1]

وعليه فيمكن للكلام غير الفصيح أن يؤثر على الفصيح نتيجة كثرة الاستماع فيطاله ويعمل على فساد أصله.

ويضيف أن هناك من الأعراب من يبتعد عن الرديء «**وذلك أن الأعرابي الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمة عافاها و لم يأبه بها»**[2]

فالأعرابي يميز بين الفصيح و الرديء ولا يقبل غير الفصيح لغة له لأنه جبل عليها.

ويقول ابن جني أن القرآن نزل بلغة بغير لغات العرب الفصيحة و أنه نزل بلغات مختلفة و كلها فصيحة [3] .

وقد تتبع ابو الفتح لغات العرب و فصاحتها و عقد لها أبوابا في كتابه، تناول فيها هذه اللغات و يري أن لكل لغة كيانها المستقل الذي لا يحق أن نلغيه فقال: «**وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسِيلتها»**[4].

فأراد من خلال قوله هذا أن لكل لغة مميزاتها التي تختلف بها عن اللغات الأخرى.

ويقول ابن جني في موضع آخر : «و لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها و أشد أنسا بها، فأما رد أحداهما بالأخرى فلا هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال

---

[1] ابن جني، الخصائص،(مصدر سابق)، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص 56.

[3] ينظر، عبد الفتاح محمد الفصيح في اللغة و النحو، (مرجع سابق) ص 271.

[4] ابن جني، الخصائص، ج. 2، ص 10.

والقياس متدانيتين مُتراسلتين أو كالمتراستين فإما أن تقل إحداهما أو تكثر الأخرى جدا، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية، و أقواها قياسا»[1].

فالمفاضلة بين اللغات عند ابن جني أمر مشروع لابد منه فيؤخذ باللغة الواسعة الرواية و القوية القياس لأنها اللغة الفصيحة ومن استعملها لم يكن مخطئ لكلام العرب،

ويرى ابن جني أن لغة الحجاز هي أفصح لغات العرب لأنها سلمت من العيوب التي تعتري اللغات، ويقارن بين صيغة لتميم وصيغة لأهل الحجاز [2] فيقول: «**ألا ترى أننا نقول في الأمر من المضاعف في التميمة نحو شُدّ... أن الأصل أشدد... ومع هذا، فهكذا لغة أهل الحجاز وهي اللغة الفصحى القدمى**»[3]

وعليه فلغة أهل الحجاز عند ابن الجني هي اللغة الفصحى القديمة لأن فك الإدغام هو الأصل و الإدغام فرع، فلغة الحجاز هي أقوي اللغات عنده.

وفي الأخير يمكن القول أن ابن جني جعل القرآن أفصح الكلام، ولغته من أفصح اللغات، ويجعل منها مقياسا لمعرفة الفصيح و يرى أن القرآن نزل بلغات مختلفة كلها فصيحة، وأن لغات العرب تتفاوت في الفصاحة وأفصحها لغة الحجاز، لما لها من قوة ولأنها أوسعها رواية و قياسا، ويرى أن الرجل الفصيح قد يتأثر بغيره فيدخل كلامه بعض ما هو رديء، إلاّ بعض الأعراب الفصحاء فهم يسارعون إلي إنكار ما خالفهم من اللغات.

---

[1] ابن جني،الخصائص، (مصدر سابق)، ص 10.

[2] ينظر، عبد الفتاح، الفصيح في اللغة و النحو،(مرجع سابق)، ص 272.

[3] ابن جني، الخصائص، ص ص259، 260.

المبحث الثاني: الفصاحة عندالبلاغيين.

1 . الجاحظ ـ 255هـ ـ:

أما الجاحظ فليس بجديد على البحث البلاغي القول أنه من الأوائل الذين أرسوا دعائم الدرس البلاغي العربي فقد قال ابن العميد: « **ثلاثة علوم، الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس أما الفقه فعلى أبي حنيفة، و أما الكلام فعلى أبي الهديل وأما البلاغة و الفصاحة و اللسان والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ**»[1].

و هذه الشهادة تقتضي أن نحدد معنى الفصاحة عنده.

إن بحث الفصاحة متفرق في ثنايا كتاب الجاحظ – البيان و التبين – حيث وجدناه يقول أن الفصاحة تقابلها اللَّكنة فيقول: « **فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة و اللكنة و الخطأ والصواب والإغلاق ، والإبانة، و الملحون و المعرب كله سواء،وكل بيانا، و كيف يكون ذلك كله بيانا**»[2].

فالخطأ و الصواب، و الإغلاق و الإبانة، والملحون و المعرب تتضمن كل واحدة منها ضدين و الفصاحة هنا هي: الصواب، و الإبانة، و الإعراب، و الخلوص، من اللكنة.[3]

ويقول في مكان آخر: « **يقال في لسانه لكنة إذا أدخل حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول، فإذا قالوا في لسانه حكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق**».[4]

فاللَّكنة بمنزلة الخطأ و الإغلاق و الملحون فاللغة تشترط الفصاحة أي الخلوص من الخطأ و الإغلاق و اللحن.

---

[1] محمد كريم الكواز، فصاحة في العربية، ص41، نقلا عن، معجم الأدباء، ص 101.

[2] الجاحظ، البيان و التبين،(مصدر سابق)، ص 162.

[3] عبد الرحمان حاج صالح، السماع اللغوي العالمي عند العرب ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)، ص 34.

[4] الجاحظ، البيان و التبين، ج1، ص 39.

« و العتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ (...) يعني أفهمك حاجته على مجرى كلام العرب الفصحاء، وأصحاب هذه اللغة لا يفهمون قول القائل منّا: « مكره أخاك لا بطل» و «إذا عزّ أخاك فهن » ومن لم يفهم قو لهم:«ذهبت إلى أبو زيد » و « رأيت أبي عمر» و متى وجد النحويون أعرابي يفهم هذا و أشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه؛ لأن هذا يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان لأن تلك اللغة إنما انقادت واستوت و اطردت وتكاملت بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة و في تلك الجيرة.»[1]

فهذه العبارة التي ذكرها الجاحظ الغريبة عن العربية هي أول مل يجعل اللغوي يبتعد عمن يفهمها من العرب فضلا عمن يستعملها لأنها خارجة تماما عن النظام اللغوي النحوي الذي ألفوه و تعودوا أن يسمعوه من الفصحاء، كون ذلك تغييرا لمعيار العربية وربما سمي فسادا لأنه يفسد النظام الذي هي عليه العربية.

كما أن الفصاحة عند الجاحظ تقتضي الفهم لما هو فصيح من الكلام وحده و عدمها يقتضي الفهم بغير الفصيح فالفصاحة هي أيضا الإبانة[2] وهذا ما يؤكد قول الجاحظ :« **كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، و كانت الإشارة أبين و أنور، كانت أنفع و أنجع، و الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجل يمدحه إليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخر العرب وتفاضلت أصناف العجم** » [3]

فالأزواج أوضح و أفصح، و أبين و أنور هي من قبيل التزويج بالمرادف لا بالضد فالفصيح إذا هو أيضا الواضح البين.[4]

والفصاحة أيضا هي إعطاء الحروف حقها في النطق أي: الخلوص من اللّثغة حيث مثل الجاحظ بلثغة واصل فيقول: « **من أجل الحاجة إلى حسن البيان و إعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حديفة، واصل بن عطاء إسقاط الراء من كلامه** (...)»[5]

فالخلوص إذا في الفصاحة عند الجاحظ يتخذ مسارين:

---

[1] ، الجاحظ، البيان و التبين، (مصدر سابق)، ج1 ص ص 162 – 163.

[2] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)،ص ص 35 – 36.

[3] الجاحظ، البيان و التبين، ص 75.

[4] ينظر، حاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 36.

[5] الجاحظ، البيان و التبين، ج1، ص 15.

1) خلوص المتكلم مما يعيب منطقه.
2) خلوص الكلام مما يشين سلامته.

و على هذين المسارين يذكر الجاحظ الحروف التي تدخلها اللّثغة ويشير إلى تنافر الألفاظ و الحروف.[1]

كما عمل الجاحظ أيضا على محاربة التخليط الذي بدأ ينتشر في زمانه في تصور أن الفصاحة و الغرابة والتقعّر صاروا شيئا واحدا، فيحكي الجاحظ عن رسالة يحي بن يعمر وقيل أنه كان يتقعّر[2]في قوله: « **إن لقينا العدو فقتلنا طائفة، و أسرنا طائفة، و لحقت طائفة بعراعر الأودية و أهضام الغطان وبتنا بعرعرة الجبل و بات العدو بحضيضه**» فقال العجاج: « **ما يزيد بأبي عدر هذا الكلام فقيل له: إنّ معه يحي بن يعمر! فأمر أن يحمل إليه، فلما أتاه قال: أين ولدت؟ قال: بالأهواز، قال: فأنى لك هذه الفصاحة. قال: أخذتها عن أبي**».

ثم قال: «**فإن كانوا رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله عن صفة البلاغة والفصاحة، وإن كانوا إنما دونوه في الكتب وتذاكروه في المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج والطرماح و أشعار هذيل تأتي لهم مع حبس الرصف على أكثر من ذلك** »[3].

فالجاحظ في هذا النص لا يحصر الفصاحة في السلامة اللغوية السليقية كما فعله النحويون بل تجاوز هذه الفصاحة اللغوية إلى الفصاحة البلاغية.

وعليه فالفصاحة عنده تعني الصواب، والإبانة، والإعراب، والخلوص، من اللّكنة، والخطأ، واللحن، وهدا كله يدخل في السلامة اللغوية ،فالفصاحة إذن تقتضي السلامة اللغوية.

---

[1] ينظر، محمد كريم الكواز، الفصاحة العربية،(مرجع سابق)، ص 41.

[2] ينظر، حاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 51.

[3] الجاحظ، البيان و التبين،(مصدر سابق)، ص ص 378 – 379.

والكلام الغريب عنده لايتصف بالفصاحة لأنه ليس من كلام العرب الفصحاء،وهو خارج عن نظامهم النحوي واللغوي ويعتبر تغيرا وفسادا لنظام العربية، كما أن الفصاحة عنده تقتضي الفهم فهي الإبانة والخلوص أيضا من اللثغة بمعنى إعطاء الحروف حقها في النطق.

2. أبو هلال العسكري ـ395 هـ ـ:

جاء أبو هلال العسكري ليستفيد من أراء سابقيه فعمد إلى جمعها و ترتيبها، مع شيء من الشرح والاستشهاد بالأمثلة، فنجده يستقي من كتاب البيان والتبين للجاحظ فيذكره و يثني عليه في مقدمته فيقول: « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ وهو لا عمري كثير الفوائد، جم المنافع».[1]

فهذا دليل على أن العسكري نهل من كتاب البيان والتبين، وستفاد من بعض أرائه البلاغية التي تضمنها كتابه الصناعتين.

بدأ كتابه الصناعتين ببيان أهمية علم البلاغة و معرفة الفصاحة فقال: « **إن الإنسان إذا أغفل علم اللغة وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب**»[2]

فمن خلال القول يتبين أن للفصاحة في نظر العسكري أهمية كبيرة في بيان إعجاز القرآن الكريم.

ويقدم أبو هلال العسكري رأيين في الفصاحة:

أولى الرأيين يتضح من خلال قوله:« **قال القوم: إنها من قولهم:أفصح فلان عمّا في نفسه إذا أظهره والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء، و أفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته فظهر**(...) **و إذا كان الأمر على هذا فالفصاحة و البلاغة ترجعان إلى معنى واحد و ان اختلف أصلهما. لأن كل واحد منهما، إنما هو الإبانة عن المعنى و الإظهار له**»[3].

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين،تحق، علي محمد البجاوي ومحمد أبو فضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، ت 1952 م، ص 54.

[2] المصدر نفسه، ص 01.

[3] المصدر نفسه، ص 07.

فمراده من رجوع الفصاحة و البلاغية إلى معنى واحد أنهما ترجعان إلى ذلك من حيث إيصال المعنى فالظهور في الفصاحة و الإبانة عن المعنى في البلاغة من باب واحد و لكن أصليهما اللغويين مختلفين.[1]

و الرأي الثاني في قوله: « **قال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحا، لأن الفصاحة تتضمن معنى الآلة، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان، و الدليل على ذلك أن الألثغ و التمتام لا يسميان فصيحين، لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف**».[2] و هذا الرأي يقوم على الخلوص : « **فعلى هذا تكون الفصاحة و البلاغة مختلفين، وذلك أن الفصاحة تمام ألة البيان فهي تتعلق باللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى** ».[3]

فأبو هلال العسكري يخص الفصاحة باللفظ دون المعنى.

ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتضمن المعنى أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى معنى الذي يؤديه، وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ، جيد السبك، غير مستكره فجٍ ولا متكلف وخمٍ ولا يمنعه من أحد الأسمين شيء فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف.[4]

3. ابن سنان الخفاجي ـ466هـ ـ:

جاء ابن سنان و استثمر جهود سابقيه من اللغويين و النحاة و البلاغين وخطى بالفصاحة خطوة كبيرة فعقد في كتابه سر الفصاحة فصولا ضافية تحدث فيها عن صفات الحروف و مخارجها و فصاحة اللفظ المفرد والألفاظ المؤلفة و الفصاحة عنده هي الظهور و البيان.

---

[1] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية،(مرجع سابق)، ص 43.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين،(مصدر سابق) ،ص ص 7 – 8.

[3] المصدر نفسه، ص 8.

[4] محمد أحمد قاسم ومحي الدين ذيب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط.1، ت2003 م، ص ص 43-44.

- **فصاحة الألفاظ:**

الفصاحة نعت للألفاظ إذا وجدت علي شروط عدة، فقد قسم ابن سنان شروط الفصاحة إلي قسمين :

الأول يخص اللفظة المفردة و الثاني يخص الكلام المركب أو الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض.

ولكي تكون اللفظة الواحدة فصيحة ينبغي أن تتوفر علي ثمانية شروط كما وردت عند ابن سنان:

الأول: أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج .

الثاني: أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسن و مزية علي غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة، ومثال ذلك قول زهير بن أبي سلمي:

تقيٌ نقيٌ لم يُكثر غُنيمةٍ بنهْكَة ذي قُربى ولا بحقلّدِ

الثالث: أن تكون الكلمة غير متوعرة و وحشية كقول أبي تمام:

لقد طَلعتْ في وجهِ مصرَ بوجههِ بلا طالعِ سدّ ولا طائرِ كهللٍ

فإن كهلا ها هنا من غريب اللغة [1]

والرابع: أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية، مثال الكلمة العامية قول أبي تمام:

جَلّيتَ و الموتُ مبدٍ حُرَّ صفحتهِ وقد تَفرْعن في أفعاله الأجلُ

[1] ينظر ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحق، داود غطاثة الشرابكة، دار الفكر، عمان . الأردن، ط.1، ت. 2006م، ص ص 58-60.

فإن . تفرعن . مشتق من اسم فرعون، و هو من ألفاظ العامة، و عادتهم أن يقولوا تفرعن فلان إذا وصفوه بالجبرية.

و الخامس: أن تكون الكلمة جارية علي العرف العربي الصحيح غير شاذة ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة ويريده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة [1].

قال أبو عبادة:

وأبَتْ تركِي الغَديّاتُ و الأ صَال حتى خَضبتْ بالمِقراضِ

حيث قالوا: أن المقراض ليس من كلام العرب.

و السادس: ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره،فإذا أوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعني قبحت و إن كملت فيها الصفات التي بينها. ومثال هذا قول عروة ابن الورد العبسي:

قلتُ لقومٍ في الكنيفِ تَروّحوا عشية بتنا عند ماوان رزّجِ

والكنيف أصل الساتر ومنه قيل لترس: كنيف، غير أنه قد استعمل في الأبار التي تستر الحدث و شهر بها.

والسابع: أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف فإنها متي زادت عن الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة ومن ذلك قول ابن نباتة:

فإياكُم أن تَكشِفُوا عن رُؤوسِكُم الا إن مِغْناطيسَهنّ الذوائب

---

[1] ينظر، ابن سنان الخفجي،سر الفصاحة،(مصدر سابق)، ص ص 64-77.

فمغناطيسهنّ كلمة غير مرضية.

و الثامن: أن تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر فيها عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجري ذلك ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

و غَاب قُميرٌ كُنتُ أرجُو طُلوعَهُ ورَوّم رَعيانَ و نَوَّم سمَّرَ

فإنما جعله قُميرا لأنه كان هلالا غير كامل (...) وهذا تصغير في موضعه [1].

- **الكلام في الألفاظ المؤلفة:**

أشار ابن سنان الخفاجي فيما يخص الكلام في الألفاظ المؤلفة أن كل صناعة من الصناعات كمالها بخمسة أشياء وهي: الموضوع، الصورة، الصانع، الآلة،والغرض و اعتبر الكلام المؤلف من الأصوات هو الموضوع و أن المؤلف الذي ينظم الكلام هو الصانع، أما الفصل عند الكاتب و البيت عند الشاعر فهما الصورة أما الآلة فأقرب ما قيل فيها أنها طبع هذا النظم و العلوم التي اكتسبها بعد ذلك و أما الغرض فيكون بحسب الكلام المؤلف فإن كان مدحا كان الغرض منه قولا ينبئ عن عظم حال الممدوح. [2]

[1] ينظر، ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة(المصدر السابق)، ص ص 80 ـ 82.

[2] ينظر، المصدر نفسه ، ص ص 82-85.

فصاحة التراكيب:

استهل ابن سنان الخفاجي قوله في تأليف الكلام بضرورة تجنب الناظم تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، مشيرا إلى أن فعل التكرار يكون أقبح في التأليف من اللفظة المفردة، ذلك أن اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف ما يستمر في الكلام المؤلف إذا طال و اتسع.مستشهدا ببيت شعري:

لو كنتُ كنتُ كتمتُ الحُب كنتُ كَما كنَّا نكُون ولكِن ذلك لم يَكُن

و يري ابن سنان أن التأليف على ضربين متنافر و متلائم لا غير وهو يخالف بذلك أبو الحسن الرومي الذي قال أن التأليف على ثلاثة أضرب: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطي، و متلائم في الطبقة العليا.

كما يرى ابن سنان أنه لا فرق بين القرآن و بين فصيح الكلام المختار في قضية المتلائم و المتنافر [1] فيقول: «**متى رجع الإنسان إلي نفسه و كان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي الكلام في تأليفه** ».[2]. وهذا يعني أن كلام العرب فيه من المتلائم ما في القرآن الكريم لذلك فهو يساويه في التأليف

كما تحدث عن إعجاز القرآن وكيف أن العرب صرفوا عن معارضته بأن سلبوا الإرادة التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك، مشيرا أنه لو ذهبنا إلى أن وجه إعجاز القرآن الفصاحة وادعينا أنه أفصح من جميع كلام العرب بدرجة ما بين المعجز و الممكن، لم يفتقر في ذلك إلى ادعاء ما قاله من محالفة

---

[1] ينظر، ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة(المصدر السابق)، ص ص 92 ،93.

[2] المصدر نفسه ، ص 93.

تأليف الحروف الواقعة في الفصيح من كلام العرب، ذلك أنه لم يكن بنفس هذا التأليف فقط فصيحا، و يؤكد أن الفصاحة تقع في الكلام لأمور عدة ومن جملتها التلائم في الحروف و غيره [1].

ويرى أن تأليف الحروف في القرآن وفصيح كلام العرب واحد، ذلك أن الألفاظ المتلائمة في تأليف الحروف في القرآن الكريم كانت العرب قد تكلمت بها قبل القرآن و بعده،و لولا ذلك لم يكن القرآن عربيا.

ومنه فما يجب اعتماده أن التأليف على ضربين متلائم و متنافر و تأليف القرآن و فصيح كلام العرب من المتلائم و هذا لا يقدح في إعجاز القرآن.

والتنافر عنده ليس في بعد ما بين مخارج الحروف وإنما هو في القرب مقدما، مثالا بكلمة –ألم–فهي غير متنافر مع أنها مبنية من حروف متباعدة المخارج، ليعاود بعد ذلك الحديث عن التكرار وكيف أنه يقدح في الفصاحة، و يغض من طلاوتها،ولهذا يؤثر تجنبه غير أن هناك نوع من التكرار – حسب ابن سنان – وهو غير مكروه لأن المعنى مبني عليه و مقصور على إعادة اللفظ بعينه و مثال هذا النوع:

لولا دُموعي كَتمْتُ الهوى و لولا الهوَى ما كَانتْ لي دُموع [2]

أما عن فصاحة الألفاظ المؤلفة، وهذا يدخل في القسم الثاني من صفات الفصاحة الخاصة بالألفاظ المؤلفة، فالحديث عن وجود حسن في السمع ومزية عن غيرها في اللفظة، فإن هذا إنما يكون في التأليف وإذا ترادفت الكلمات المختارة فيجد الحسن فيه أكثر وتزيد طلاوتها، وهذا بفضل التواتر و الترادف. و كذلك الثالث والرابع من

---

[1] ينظر، ابن سنان الخفاجي، (مصدر سابق) ، ص93،94.

[2] ينظر،المصدر نفسه ، ص ص 95 – 100.

الأقسام وهما أن تكون الكلمة غير وحشية، ولا عامية لأن هذين القسمين أيضا لا علاقة لتأليف بهما، و إنما يقبح إذا كثر فيه الكلام الوحشي العامي. وأما القسم الخامس فهو أن تكون الكلمة جارية علي العرف العربي الصحيح فلتأليف بهذا القسم علاقة وطيدة لأن إعراب اللفظة تتّبع تأليفها من الكلام، وعلى حكم الموضع الذي وردت فيه وقد نوه صاحب كتاب سر الفصاحة إلى أن إعراب الكلام شرط في فصاحته. و أما السادس وهو أن لا تكون الكلمة قد عُبّر بها عن أمر أخر يكره ذكره، فالتأليف فيه تعلق بحسب إضافة الكلمة إلي غيرها، فإن القبح يختلف بحسب ذلك. و أما السابع وهو اجتناب الكلمة الكثيرة الحروف فلا علاقة لتأليف بهذا إلا أن ظهور قبحه أجلى إذا ترادفت فيه الكلمات الطوال _على حد قوله- في الكلمة الوحشية [1].

وأما الثامن وهو التصغير فلا علاقة لتأليف به إذا كان لا يتعدى الكلمة بانفرادها [2] ولكنه يقول: «**إن تكرار التصغير و الترخيم و النداء و العطف** (...) **من الأقسام و الإسهاب في ايراد هذا، معدود في جملة التكرار ويجب التوسط فيه لأن لكل شيء حد لا يحسن تجاوزه**»[3]

فالملاحظ أن ابن سنان جعل من شروط فصاحة اللفظة الواحدة شروطا في فصاحة الكلام في الألفاظ المؤلفة، باستثناء الشرط السابع و الثامن فهو لم يجعلها، في شروط فصاحة الألفاظ المؤلفة إذا لم تترادف الكلمات الطوال في الأول، و إذا لم يتعدى التصغير الكلمة في الثاني.

---

[1] ينظر، ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة(المصدر السابق) ، ص ص 101-104.

[2] ينظر،المصدر نفسه، ص 104.

[3] المصدر نفسه، ص104

فبعد أن وضّح الخفاجي ما يتعلق بالأقسام المذكورة في الكلمة بانفرادها يعود بالحديث إلى ما يختص بالتأليف وينفرد به [1] فيقول «**فمن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون في الكلام تقديم و تأخير حتى يؤدي ذلك إلي فساد معناه و إعرابه في بعض المواضع، أو سلوك الضروريات حتى يصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصلة و الموصول** ».[2]

بمعني أن التقديم و التأخير إن لم يكن في محله أخل بالمعني و أفسد الإعراب ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون الكلام مقلوبا يفسد المعنى، و يصرفه عن وجهه.

ومن شروط الفصاحة و البلاغة التي وضعها الخفاجي الإيجاز، و الاختصار، وحذف فضول الكلام حتى يعبر بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة .

ومن شروط الفصاحة التي تحدث عنها الخفاجي أيضا، أن يكون الكلام واضحا ظاهرا جليا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه و تأمل في فهمه [3].

وفي الأخير نستنتج أن الفصاحة عند ابن سنان هي: الظهور و البيان كما وردت في معاجم اللغة، وجعلها على قسمين قسم يختص بالألفاظ المفردة واشترط فيه ثمانية شروط و الملاحظة على هذه الشروط أن أغلبها لا يخرج

---

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة(المصدر السابق)، ص 105.

[2] المصدر نفسه ص 106.

[3] المصدر نفسه، ص 197.

عن الشروط التي وضعها اللغويين للفصاحة مثل أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي وأن لا تكون عامية وغيرها، و أما فصاحة التركيب فيجب أن يتجنب فيها التكرار المخل لأنه يقدح في الفصاحة و يغض من طلاوتها.

والتأليف عنده على ضربين متلائم و متنافر، و أن تأليف القرآن و فصيح كلام العرب كلاهما من المتلائم وأن من شروط الفصاحة الإيجاز و الاختصار و حذف فضول الكلام.

4. عبد القاهر الجرجاني ـ471 هـ ـ:

للجرجاني مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، و الفصاحة إذ استطاع أن يضع نظرية علم المعاني وضعا دقيقا من خلال كتابة دلائل الإعجاز، و الذي تناول فيه أيضا فصاحة المعاني فرغم أنه لم يكن أول من أشار إليها فقد سبقه أبو هاشم الجبائي، وغيره من المتكلمين. إلاّ أنها غذت على يده مسألة أكثر عمقا ووضوحا. وقد استهل كتابه بفصل عقده لتحقيق القول في البلاغة، و الفصاحة، و البيان، و البراعة، وذهب فيه إلى أن هذه الأصناف لا ترجع إلى اللفظ وإنما ترجع إلى المعنى و كيفيات الصياغة وصورها، و خصائصها يقول : « **ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى « الفصاحة و البلاغة والبيان و البراعة»و في بيان المغزى في هذه العبارات، وتفسير المراد بها»**[1]

ومن ثم ذهب إلى أن اللفظة لا وزن لها في فصاحة أو في بيان أو في بلاغة يقول: « **وهل تجد أحدا يقول هذه الكلمة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها»**[2]

---

[1] عبد القهار الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحق، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط .3، ت 1992، ص 36.

[2] المصدر نفسه، ص 44.

فالألفاظ لاتكون فصيحة في ذاتها، بل تكتسي صفة الفصاحة بعد أن تدخل في النظم،ويكون معناها ملائم لمعنى جاراتها.

ويقر الجرجاني أن اللفظ لا يكون فصيحا لما في نفسه من أوصاف كما ذهب البعض بل للصفات التي يكتسبها « **أن كلامنا في الفصاحة تجب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النطق و لكن من أجل طرائق تدرك بالفهم**»[1].

بمعنى أن فصاحة الألفاظ لاتكون بسبب مزية في النطق بهذه الألفاظ، ولكن وصف هذه الألفاظ بالفصاحة يحدث لما تحمله من معاني تدرك بالفهم.

إذا ففصاحة الألفاظ لا ترجع إلى اللفظ بشهادة الصفات التي توصف بها، و إنما ترجع إلى صورتها و معرضها الذي تتجلى فيه وبعبارة أخرى ترجع إلى نظمها، و ما ينطوي فيه من خصائص و أن الشيء الذي يجعل اللفظ يتصف بالفصاحة لا يوجد فيه هو بل في المعنى، لأنه لو كانت فيه دون المعنى لوجبت له الفصاحة في كل حال. وهذا لا يمكن، فاللفظة تكون فصيحة في موضع ولا تكون فصيحة في موضع آخر [2] يقول: « **و أن المزية التي من أجلها تصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح، مزية تحدث من بعد ألا تكون،وتظهر في الكلام من بعد أن بدخلها النظم** (...) **وجب أن يعلم قطعا وضرورة أن تلك المزية في المعنى دون اللفظ**»[3].

فمن خلال القول يتبين لنا أن الفصاحة تكون في المعنى،وليس للكلمة المفردة قيمة كبيرة،لأن اللفظة كثيرا ما تستعمل في موضع فتكون عذبة،وتستعمل في موضع آخر فتفقد تلك المزية، وعليه لا يمكن أن تكون الفصاحة للفظ من حيث هو لفظ.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (مصدر سابق)، ص 399.

[2] ينظر، شوقي ضيف، البلاغة التطور و التاريخ، دار المعرفة، القاهرة، ط.9، د،ت، ص 164.

[3] المصدر نفسه ، ص 401.

وفصاحة اللفظ عنده لا تكون مقطوعة من الكلام الذي هي فيه بل يجب أن تكون موصولة بغيرها من الكلمات معلقا معناها بمعنى ما يليها فإذا نظرنا إلى قوله تعالى﴿ **يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾ المنافقون 04.

فالآية في أعلى رتبة من الفصاحة، وسبب فصاحتها أمور معينة ناتجة عن نظمها و تألفها:

أولها: أن كانت « على » فيها متعلقة بمحذوف في موضع المفعول.

و الثاني: أن كانت الجملة التي هي « هم العدو » بعدها عارية من حرف العطف.

و الثالث: التعريف في «العدو»و أن لم يقل « هم عدو » و لو أظهرنا المحذوف قبل أدخلنا على الجملة التي هي « هم العدو» حرف عطف و أسقطت الألف و اللام من العدو فقلنا: **يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وهم العدو** لا ذهب الفصاحة عنها،[1]

ثم يعود ليؤكد بطلان مقولة أن تكون الفصاحة للفظ من حيث هو لفظ، و يعلل ذلك بأن الفصاحة لا تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع، فلو كانت كذلك لستوى السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا ولذلك فهي صفة معقولة.

واللفظ لا يعرف له صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس إلاّ دلالته على معنى[2]، فمثلا إذا قرأنا قوله تعالى: ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً** ﴾ مريم 04 ففصاحة الآية لا تكون إلاّ بعد أن ينتهي الكلام إلى آخره، فلو كانت الفصاحة صفة للفظ « اشتعل » لكان ينبغي أن يحسها القارئ في حال النطق به، فمحال أن تكون للشيء صفة ثم لا يصح العلم بتلك الصفة إلاّ من بعد عدمه في حال وجوده، حتى إذا عدم صارت موجودة فيه، فكيف تكون الصفة موجودة في اللفظ ثم لا يكون في الإمكان أن نعرف وجود تلك الصفة في ذلك اللفظ إلاّ من بعد أن يعدم ونبلغ أخر الكلام، فنعلم أنها كانت فيه حين نطقنا به. و الفصاحة التي يدعونها عن اللفظ تكون في مجموع الكلمة وليس في أحد حروفها فليس من الممكن أن يدعوا لكل واحد من حروف « اشتعل » فصاحة فيجعلوا الشيء على

---

[1] ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، (مصدر سابق)، ص 404.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص 407.

حدته فصيحا و كذلك التاء و العين و اللام، فإذا كانت الفصاحة مدعاة فحصولها لا يكون إلاّ بعد أن تعدم كلها وينقضي أمر النطق بها.[1]

ثم يرد على الذين قالوا أنه يصح أن يُعبر عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون أحدهما فصيح و أخر غير فصيح، ولذلك قالوا:يقتضي أن يكون للفظ نصيب في المزية لأنها مقصورة على المعنى، لكن محال أن يجعل للأحد اللفظين فضلا عن الأخر مع أن المعبر عنه واحد،[2]فقال: **« قولك إنه يصح أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين يحتمل أمرين أحدهما: أن تريد باللفظين كلمتين معناهما واحد في اللغة مثل:الليث و الأسد و الثاني أن تريد كلامين»**[3]. وقد استبعد الجرجاني الأول لأن الكلام في الفصاحة يحدث من بعد التأليف دون الفصاحة التي تصف بها اللفظة المفردة.

و أما الثاني وقد قال فيه:«**و هو أن يُعلم أن سبيل المعاني سبيل لأشكال الحلي** (...) **فسبيل المعاني أن ترى الواحد منها غافلا ساذجا موجود في كلام الناس كلهم، ثم تراه نفسه و قد عمد إليه البصير بشأن البلاغة، و أحدث الصور في المعاني، فيصنع فيه ما يصنع الصانع الحادق»**[4]. مثل إذا نظرنا إلى قول الناس «الطبع لا يتغير».

فنرى المعنى غفلا عاميا معروفا في كل جيد ثم تنظر إليه في قول المتنبي:

يُراد مِن القلبِ نسيانَكم و تَأبى الطِباعُ على النِقالِ.

فنجده قد خرج في أحسن صورة، و تأبى الطباع على النقال غاية في الفصاحة و فصاحتها لم تكن من أجل حروف بل من أجل حسنٍ ومزية تقع في معناه[5] ثم يسترسل في ذكر الحجج التي يبطل بها ما تمسك به الناس لأن

---

[1] ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، (مصدر سابق) ، ص 408.

[2] ينظر، المصدر نفسه ، ص 420.

[3] المصدر نفسه ،ص 422.

[4] المصدر نفسه، ص 423

[5] ينظر،المصدر نفسه، ص 425.

الفصاحة إنما هي صفة في اللفظ كقوله: « **فإذا سمعوا ذلك قالوا كيف يكون هذا و نحن نراه لا تصلح صفة إلاّ للفظ، و نراها لا تدخل في صفة الفصاحة البتة لأننا نرى الناس قاطبة يقولون: هذا اللفظ فصيح، و هذه ألفاظ فصيحة و لا نرى عاقلا يقول: هذا معنى فصيح و هذه معان فصاح، و لو كانت الفصاحة تكون في المعنى لكان ينبغي أن يقال ذلك**»[1] فحجة الناس أن الاستعمال اللغوي للفصاحة يشهد بأنها صفة في الألفاظ دون المعنى فيجيب عبد القاهر بقوله: « **إن غرضنا من قولنا: إن الفصاحة تكون في المعنى أن المزية التي من أجلها استحق اللفظ الوصف بأنه فصيح هي المعنى دون اللفظ.**»[2]

و نرى الجرجاني يعترف بالمعنى المتداول للفصاحة الذي توصف به المفردات فيجعل الكلام الفصيح قسمان: قسم تعزي المزية و الحسن فيه إلى اللفظ و قسم يعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول يشتمل الكناية و الاستعارة والتمثيل المجاز[3]

ففي الكناية مثلا إذا قلت: هو كثير رماد القدر كان له تأثير في النفس لا يكون إذا قلت هو كثير القِرى والضيافة فالكناية عنده إثبات بمعنى، و هذا المعنى لا تعرفه إلاّ عن طريق المعقول دون طريق اللفظ فنحن إذا نظرنا إلى قولهم: هو كثير رماد القدر عرفنا منه أنهم أراد أنه كثير القرى و الضيافة، ولم نعرف ذلك من اللفظ و إنما عرفناه بالرجوع إلى النفس فقلنا أنه كلام قد جاء عنهم في المدح، و لا معنى للمدح بكثرة الرماد فليس إلاّ أنهم أرادوا أن يدللوا بكثرة الرماد على أنه تُنصب له القدور الكثيرة، و يطبخ فيها للقِرى و الضيافة و ذلك لأنه إذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة.

و الأمر نفسه بالنسبة للاستعارة و التمثيل فحكمهما لا يختلف عن حكم الكناية فالمعنى فيهما يعرف عن طريق المعقول لا عن طريق اللفظ.[4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، (مصدر سابق)، ص 427.

[2] المصدر نفسه، ص 423.

[3] ينظر،شوقي ضيف، البلاغة التطور و التاريخ، ص 166.

[4] ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 430.

و القسم الثاني، و هو الذي تكون فصاحته في النظم، و النظم إنما هو توخي معاني النحو وفروقه و أصوله ووجوهه والعمل بقوانينه ومعاني النحو ليست معاني ألفاظ، نحو قوله تعالى:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)**﴾ الآية 01 من سورة الفاتحة. فالحمد مبتدأ و الله خبر و رب صفة لإسم الله تعالى والرحمن الرحيم صفتان كالربّ. فهل يتصور في شيء من هذه المعاني أن يكون معنى للفظ، فقد ربط الجرجاني بين الفصاحة والنظم ويفند أن تكون الفصاحة وصف للفظ من حيث هو لفظ و نطق لسان.[1]

كما نجد أن الجرجاني تعرض لكلام العلماء في الفصاحة و أقر أن كلامهم كان رمزا و تعريضا و لم يكن تصريحا.

و أكد أيضا أن العلماء الأولين الذين ألفوا كُتبا في اللغة، وشاع فيها وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة، لم يقصدوا فصاحة اللفظ في حد ذاته كما فهمه البعض. بل قصدوا أنها في اللغة أثبت، و في استعمال الفصحاء أكثر وأنها أجرى على مقاييس اللغة، و القوانين التي وضعوها. [2]

و بهذا يتضح أن الجرجاني لا يقول بفصاحة المعاني فحسب، بل يجعل المعنى الركن الأقوم في الفصاحة.

كما أن الجرجاني يفرق بين مظهرين للفصاحة الأول يدرك بسهولة وهو معروف عند العامة و قد أشار إليه بقوله: «**و من ثم لا يجوز لنا أن نعتدّ في شأننا هذا بأن يكون المتكلم قد استعمل من اللغتين في الشيء الواحد و يقال: إنه أفصحهما، أو بأن يكون قد تحفظ مما تخطئ فيه العامة و لا بأن يكون قد استعمل الغريب(...)و لما كان هذا دأبهم، ثم رأوا الناس و أظهر شيء في معنى الفصاحة تقويم الإعراب، و التحفظ واللحن، لم يشكوا أنه ينبغي أن يعتد به في جملة المزيا التي يفاضل بين كلام و كلام في الفصاحة**».[3]

فسمات هذا المظهر الأولي هي:

- استعمال ما يقال إنه أفصح اللغتين.

---

[1] ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، (مصدر سابق)، ص 451 - 452.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص 456 - 457.

[3] المصدر نفسه، ص 400.

- و التحفظ مما تخطئ فيه العامة.
- وتجنب استعمال الغريب.
- الالتزام بقواعد الإعراب.
- وتجنب اللحن.

أما المظهر الثاني فيقول فيه: « ...**وذهب عنهم أن ليس هو من الفصاحة التي يعنينا أمرها في شيء، و أن كلامنا في فصاحة تجب للفظ من اجل شيء يدخل في النطق، و لكن من أجل لطائف تدرك بالفهم**».[1]

ومما سبق يتبن لنا أن الجرجاني تحدث عن الفصاحة في كتابه دلائل الإعجاز وكان يؤكد على نقطة واحدة هي أن الفصاحة تكون في النظم وانتقد أراء أنصار اللفظ في قولهم بأن الفصاحة تكون في اللفظ، ومع أنه لا ينفي أن تكون للفظ أوصاف خاصة ولكنها ليست مما يعول عليه في الفصاحة.

فالفصاحة تكون في المعاني التي تحدث من خلال تلائم الألفاظ مع بعضها البعض، والألفاظ عنده خادمة للمعاني بل هي مجرد أوعية لها.

وقسم الكلام الفصيح إلى قسمين: قسم يرجع إلى: الكناية، والاستعارة، والتمثيل الكائن على حد الاستعارة، والقسم الثاني تعزى المزية فيه لنظم.

والفصيح من المفردات عنده هو ما ثبت في اللغة أي ما سمعه بالفعل الثقات من اللغويين وما كثر منها في استعمال الفصحاء ،وما كان خاضعا للمقاييس.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، (مصدر سابق)، ص 401.

5. السكاكي ـ 626 هـ ـ:

تحدث السكاكي في كتابه مفتاح العلوم عن الفصاحة بعد أن انتهى من علم البيان أي بعد أن أنهى حديثه عن البلاغة فقسمها إلى قسمين: قسم راجع إلى المعنى : وهو خلوص الكلام من التعقيد، وآخر راجع إلى اللفظ: وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية و علامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر لا مما أحدثه المولدون، و لا مما أخطأت فيه العامة و أن تكون أجرى على قوانين اللغة وأن تكون سليمة من التنافر.[1]

ويمكن توضيح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (44)﴾ هود.

فالآية توضح لنا جانبي الفصاحة المعنوية و اللفظية، أما الفصاحة المعنوية فهي نظم للمعاني لطيف و تأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكرة في طلب المراد، ولا التواء يشيك الطريق على المرتاد فعند استماعك للآية الكريمة تجد ألفاظها تسابق معانيها و معانيها تسابق ألفاظها، فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق على أذنك إلاّ ومعانيها أسبق على قلبك،وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها عربية مستعملة، جارية على قوانين اللغة، سليمة من التنافر، بعيدة عن البشاعة، عذبة ، سلسة.[2]

ثم قال إن الفصاحة مما يكسو الكلام حلة التزين و التحسين، و بذلك جعل الفصاحة تعود إلى حسن الكلام، أما البلاغة فتعود إلى ما فصله في علمي المعاني و البيان و لا يلبث أن يقول: « **وها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا نشير إلى الأعراف منها، و هي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ**»[3]

---

[1] ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة الميمنية، مصر، د.ط، د. ت، ص ص 25 ، 26.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص ص 27 ، 28.

[3] المصدر نفسه،ص28

وهو يقصد المحسنات البديعية و كأنما يرى أن تدمج في الفصاحة، فهي لا تندرج في البلاغة وما يتصل بها في الإعجاز القرآني، فالسكاكي لم يدخل المحسنات البديعية في البلاغة على نحو ما فعل الفخر الرازي بل فصلها فصلا تاما ولكي يؤكد هذا الفصل جعلها من باب الفصاحة و قسمها على غرارها إلى قسمين:

قسم يعود إلى اللفظ و قسم يعود على المعنى، واكتفى بعرض الأهم و الأغراض منها جميعا.

وعليه فالسكاكي جعل للفصاحة ميدانها، وإطارها و قسمها إلى قسمين:

قسم راجع إلى اللفظ وقسم راجع إلى المعنى، وجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة التي حصر مرجعيها في المعاني والبيان، وهو بهذا جعل الفصاحة علم مستقل له ميدانه ومقاييسه.

6. ابن الأثير ـ 637 هـ ـ:

تتبع ابن الأثير في كتابه المثل السائر أراء و أقوال العلماء في الفصاحة، و بنى دراسته على ما جاء في كتاب سر الفصاحة لابن سنان الحفاجي و أضاف إليها بعض الآراء الخاصة به و قد جمع أراء العلماء في الفصاحة و قال: «**غاية ما يقال في هذا الباب أن الفصاحة في اللغة هي: الظهور و البيان في أصل الوضع اللغوي** (...) **ثم إنهم يقفون عند ذلك** (...) **و بهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة** » [1] بمعنى أن الفصيح عنده هو الظاهر البين من الألفاظ، وإن ما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف في الاستعمال لا يحتاج فهمه للعودة إلى كتب اللغة، وهذه الألفاظ لها حسن يدركه السمع و اعترض على هذا القول بوجوه من الاعتراضات.

أحدها: أنه إذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحا.

الوجه الأخر: أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب و الإضافات، فيكون فصيحا عند هذا و غير فصيح عند ذاك و ليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع.

الوجه الأخر: أنه إذا جيء بلفظ فصيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغي أن يكون فصيحا و ليس كذلك؛ لأن الفصاحة وصف حسن للفظ لا وصف القبح.

---

[1] ابن الأثير، المثل السائر، تحق، محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي البلدي، د.ط، د.ت، ص 64.

فكلامه في هذه الاعتراضات يدور حول الاختلاف في معنى الظهور و البيان، و انتهى إلى [1] « **أن الكلام الفصيح هو الظاهر البين و أعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من الكتاب لغة وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال، بين أرباب النظم و النثر دائرة في كلامهم، و إنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في كلامهم دون غيرها من الألفاظ لما كان حسنها و ذلك أن أرباب النظم و النثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها و سبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه**»[2]

ويعطي مثالا للحسن و القبيح: فالسامع يستلد صوت البلبل من الطير و يكره صوت الغراب و ينفر عنه.

وعليه فالفصاحة عنده تشمل فصاحة اللفظ المفرد و فصاحة الألفاظ المركبة و هو في كل ذلك يتابع ابن سنان الخفاجي إذ قسم الفصاحة إلى فصاحة في المفرد و فصاحة في الكلام، فيعرض بالتفصيل إلى ما اشترطه ابن سنان في فصاحة اللفظ بادئا بما ذكره فيها من تباعد مخارج الحروف و أن تكون جارية على العرف العربي و أن تصغر في موضع يعبر به عن شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجرى ذلك فاعترض ابن الأثير على هذه الشروط ووافقه في شروط أخرى مثل: ألا تكون الكلمة وحشية و قسم الوحشي إلى غريب حسن و غريب قبيح.

كما وقف عندما اشترطه ابن سنان لفصاحة المفردات من عدم اشتراكها بين معنيين أحدهما يكره ذكره و أخر عدم ثقلها بسبب طولها.[3]

و انفرد بتقسيم الألفاظ في الاستعمال إلى جزيلة و رفيقة، فالجزل هو المتين العذب في الفم و السمع، الذي يستعمل في وصف مواقف الحروب، و في وقع التهديد و التخويف، و الرقيق هو اللطيف، الرقيق الحاشية الذي يستعمل في وصف و ذكر أيام العباد و انفرد كذلك بدراسة خفة الحركات إذ أضاف إلى أوصاف الكلمة[4] « **أن لا تكون مبينة من حركات خفيفة ليخف النطق بها** ».[5]

---

[1] ينظر، ابن الأثير، المثل السائر، (مصدر سابق) ،ص 65.

[2] المصدر نفسه، ص 65.

[3] ينظر، شوقي ضيف، البلاغة التطور و التاريخ،(مرجع سابق)، ص 306.

[4] ينظر، محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية،(مرجع سابق)، ص 70.

[5] ابن الأثير، المثل السائر، ص 118.

و الفصاحة عنده تخص اللفظ دون المعنى يقول: « **لو كانت الفصاحة لأمر يرجع إلى المعنى لكانت هذه الألفاظ في الدلالة عليه سواء ليس منها حسن و منها قبيح، و لما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى**»[1]

فالفصاحة صفة للفظ و المعنى يجيء ضمنا تبعا، كما أن اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح، واللفظ هو الفاعل للإبانة عن المعنى، فكانت الفصاحة مختصة به.[2]

و عليه فابن الأثير في كل ما كتبه عن فصاحة المفردات مستمد من ابن سنان مع بعض الإضافات و الملاحظات.

7. القزويني (739):

كان الخطيب القزويني أمام ارث غزير عند بحثه الفصاحة فنقل حديث السكاكي عن الفصاحة و البلاغة و جعلهما مقدمة لتلخيصه و قسم الفصاحة إلى: فصاحة مفرد و فصاحة كلام، و فصاحة متكلم.

وهو في القسمين الأوليين يجري في إثر ابن سنان.

1) فصاحة المفرد:

تحدث عن فصاحة اللفظة المفردة، وقال أن الفصاحة تقع صفة للمفرد، ووضع لها شروط هي خلوصها من:

---

[1] ابن الأثير، المثل السائر ، (مصدر سابق)، ص 67.

[2] ينظر، المصدر نفسه ، ص ص 67 ، 68.

1- تنافر الحروف:

فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان، و عسر النطق بها، كما روي أن أعربي سئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع [1]

و منه ما دون ذلك كلفظ – مستشزر – في قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا تعضلّ المدارى في مشي و مرسل.

و المستشزرات المرتفعات و سبب الثقل في مستشزر توسط الشين المهموسة الرخوة بين التاء المهموسة الشديدة والزاي المهجورة.

و الغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتة إلى أن ينقرّ عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنه افرنقعوا عني، أي اجتمعتم، تنحوا.[2]

و معنى وحشيتها كونها غير مأنوسة الاستعمال عند العرب الخلص.

وأما مخالفة القياس فالمراد به القياس اللغوي، و مخالفته بأن تكون الكلمة على خلاف ما ثبتت عن الوضع وقد حمله بعضهم على القياس الصرفي وهو الخطأ لأن مخالفة القياس الصرفي لا تخل دوما بالفصاحة إذ توجد كلمات كثيرة فصيحة على خلافه مثل:عور يعور، هذا ويدخل في مخالفة القياس اللغوي كل ما تنكره اللغة بمأخذ لغوي أو صرفي أو غيرهما، و لذلك كالمقراض في قول أبي الشيص:

وجناح مقصوص تحيّف ريشه ريب الزمان تحيّف المقراض [3]

---

[1] الخطيب القروبني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط.1، ت 2003م، ص 13.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] ينظر، المتعالي الصعيدي، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح، (مرجع سابق)، ص 15 ، 16.

تم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثير أو أكثر من استعمال ما بمعناها[1]

2) فصاحة الكلام:

يذكر القزويني أن الفصاحة تقع في صفة الكلام و المتكلم ثم يفسر فصاحة الكلام فيقول: « **وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف و تنافر الكلمات و التعقيد مع فصاحتها**».[2]

فالضعف كما في قولنا ضرب غلامه زيدا، فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظ و رتبة، وقيل يجوز كما في قول الشاعر:

جزى ربه عنى عديّ ابن حاتم جزاء الكلاب العاويات، وقد فعل

و أوجب عنه بان الضمير لمصدر – جزى – أي ربّ الجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ المائدة04. أي:العدل .

و التنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان و عسر النطق بها متتابعة، كما في البيت الذي أنشده الجاحظ

و قبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حبر قبر

و منه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه و الورى معي وإذا ما لمته وحدي

فإن في قوله أمدحه ثقلا ما لما بين الحاء و الهاء من تنافر. و التعقيد أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به وله سببان:

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص 15.

أحدهما أن يرجع إلى اللفظ، و هو أن يختل نظم الكلام، و لا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ». [1]

فاختلال نظم الكلام يكون باجتماع أمور فيه توجب صعوبة الوصول إلى معناه و إن كانت جائزة في النحو وهذه الأمور كالتقديم و التأخير والحذف و الإضمار، وبهذا يكون التعقيد الفظي غير ضعف التأليف ولكنهما قد يجتمعان في مثال واحد.[2]كما في قول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلاّ مملك أبو أمه حي أبوه يقاربه

فإنه يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال: و ما مثله – يعني إبراهيم الممدوح – في الناس حي يقاربه أي أحد يشبهه في الفضائل إلا مملك يعني هشام، – أبو أمه – أي أبو هشام أبوه أي أبو الممدوح فالضمير في أمه للملك و في أبو للممدوح ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه خبر وكذا فصل بين حي يقاربه و هو نعت حي و قدما المثنى على المستثنى منه و هو كما نراه في غاية التعقيد.[3]

و الثاني ما يرجع إلى المعنى، و هو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني و الذي هو لازمه والمراد به ظاهر كقول العباس بن الأحنف

سأطلب بعض الدار عنكم لتقربوا و تسكب عيناي الدمع لتجمد

كي يسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن و أصاب لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه كقولهم: أبكاني و أضحكني، ثم يطرد ذلك في نقيضه فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور والجود، لظنه أن الجود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر و أخطأ لأن الجود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة و إنما يكون كناية عن البخل فالكلام الخالي من التعقيد المعنوي ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرا، حتى يخيل إلى السامع انه فهمه من حاق اللفظ.

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،(مصدر سابق) ، ص 16.

[2] ينظر، المتعالي الصعيدي، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح،(مرجع سابق) ، ص 23.

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،ص 17.

و قيل فصاحة الكلام هي خلوصه مما ذكر من كثرة التكرار و تتابع الإضافات.[1]

كما في قول أبي الطيب :

و تسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

والغمرة الشدة، والسبوح السريعة، و الشواهد العلامات، وهو فاعل قوله – لها – لاعتماده على الموصوف قبله أو مبتدأ مؤخر و الشاهد في كثرة الضمائر وتكرارها في قول ابن بابك:

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأى من سعد و مسمعي[2]

« **و فيه نظر لأن ذلك أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم و إلاّ فلا يخل بالفصاحة، و قد قال الرسول صلى الله عليه و سلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن إبراهيم** »[3]

---

[1] ينظر، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،(مصدر سابق)، ص 18.

[2] ينظر، عبد المتعالى الصعيدي، بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح، (مرجع سابق)، ص 22.

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 18 ، 19.

3) فصاحة المتكلم:

ولم يقف عند فصاحة المتكلم، لأنها تعود إلى الكلام الفصيح بل اكتفى بقوله:

« **و أما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح**».[1]ففصاحة المتكلم عنده تعود إلى فصاحة كلامه.

يتلخص مجهود القزويني في أنه جعل الكلام عن الفصاحة ضمن المقدمة التي تمهد لدراسة البلاغة فقسم الفصاحة إلى ثلاثة أقسام: فصاحة المفرد، فصاحة الكلام، فصاحة المتكلم.

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،(مصدر سابق)، ص 19 – 20.

الخلاصة:

وخلاصة القول في هدا الفصل أن الفصاحة عند اللغويين عند القدامى تعني صفة أن ترتضى عربيتهم بمعنى: أن تكون عربيتهم سليمة خالية من اللحن، وأن تكون من الكلام المستعمل عند أكثر الفصحاء؛ أي الذين اكتسبوا العربية الفصيحة من بيئتهم التي نشؤوا فيها. كما أن لغة القرآن هي أفصح اللغات عندهم وجعلوها مقياسا يعرف به الفصيح من اللغات ومن كلام العرب، أن البلاغيين فإن مصطلح الفصاحة لم يجري في مؤلفاتهم على معنى واحد بل وجدناهم فريقين:

فريق يجعل الفصاحة في اللفظ المفرد وآخر يجعلها في النظم كما أن الفصاحة عند البلاغيين وخاصة الأوائل منهم كانت شديدة الصلة بالفصاحة اللغوية؛ لأن معظم الشروط التي وضعها هؤلاء البلاغيين كانت تراعى فيها شروط الفصاحة اللغوية.

وعليه فمفهوم الفصاحة متداخل بين اللغويين والبلاغيين إلا في بعض الاستثناءات فمثلا الكلام المتنافر عند البلاغيين ليس بفصيح نحو كلمة مستشزرات في شعر امرأ القيس في حين يحتج بشعره عند اللغويين.

الفصل الثاني

الفصاحة في الدراسات اللغوية الحديثة

المبحث الأول :الفصاحة عند اللغويين المحدثين:

يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات التي استرعت اهتمام الكثير من الدارسين العرب المحدثين الدين وجدناهم قد انقسموا إلى قسمين: قسم لا يخرج مفهوم الفصاحة عنده عما أرساه القدماء، وترسخ في أصول العربية، فمعظم مباحثهم تدور في المدار الذي اختطته المؤلفات القديمة والقسم الآخر وجدناه يخالف ما ذهب إليه القدماء في بعض أراءهم حول الفصاحة.

وسنعرض لأقوال القسم الأول من المحدثين لنستشف منها مفهوم الفصاحة عندهم، فهناك من المحدثين من درس قضايا الفصاحة في لغة الصحافة ومن بينهم:

1 **إبراهيم اليازجي**[1]الذي رأى الفساد يعم لغة الجرائد الجديدة فألفاظها شدت عن منقول اللغة، فأنزلت في غير منازلها أو استعملت في غير معناها، فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلا عما يترتب على مثل ذلك انتشار الوهم والخطأ، كما يرى أن الخطأ في اللغة أقبح من اللحن في الإعراب وأبعد من مظان التصحيح لرجوعها إلى النقد دون القياس فيكون الغلط فيها أسرع تفشيا وأشد استدراجا لسقوط في دركات الوهم ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه أن تفسد اللغة بأيدي أنصارها والموكول إليهم أمر اصلاحها وهو الفساد الذي لا صلاح بعده[2]، فيقول: «**رأينا أن نفرد لذلك هذا الفصل، نذكر فيه أكثر تلك الألفاظ تداولا وننبه على ما فيها من بيان وجه صحتها من نصوص اللغة**»[3]

ويقول في موضع آخر:« **رأيت أن أقدم المنشغلين بهذه الصناعة بأن أجمع لهم من مترادف ألفاظ هذه اللغة وتراكيبها(...) ولم أتجاوز في تخيرها الفصيح المأنوس، من كل ما يجوز استعماله للكتاب**»[4].

---

[1] ابراهيم اليازجي، لغة الجرائد، مطبعة مطرد داخل المرور، مصر الإسكندرية، ط.1، د.ت،ص2-3.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص03.

[3] المرجع نفسه، ص03.

[4] المرجع نفسه، ص04.

نستشف من القولين أن اليازجي تتبع أخطاء الكتاب ويحاول أن يصححها بالاستناد إلى نصوص اللغة من معاجم، وكتب فجمع ألفاظها وتراكيبها، وتخير الفصيح المألوف.

فأعاد تصحيح بعض الألفاظ التي وردت في الجرائد بغير معناها اللغوي، ومن تلك الألفاظ لفظة التحوير التي لم يبقى كاتب جريدة ولا مؤلف كتاب إلا وردت في كلامه يريدون بها معنى التنقيح والتعديل وما جرى هذا المجرى. ولم ترد هذه اللفظة في شيء من كتب اللغة بمعنى من هذه المعاني إنما التحوير في اللغة بمعنى التحوير، وغالب ألفاظ هذه المادة يرجع إلى البياض فما ضر لو استعملوا في مكان هذه اللفظة إحدى الكلمات التي ذكرناها في مرادفها.

ومن ذلك أيضا قولهم: شكر له على إحسانه، وشكرا و شكرا لإحسانه وشكرا له لإحسانه، صور لا تكاد تتعداها كتابات الأكثرين وكلها حائدة عن الصواب. قال في تاج العروس شكره وشكر له(...)وشكرت لله، وشكرت لله، وشكرت بالله(...)يقال: شكرته، وشكرت له وباللام أفصح.

ويقولون أحطته علما بالأمر أي أنبهته إليه وأعلمته به فيجعلون هذا الفعل متعديا وهو لا يكون إلا لازما يقال أحطت بالأمر وأحطت به علما لم يسمع فيه غير ذلك[1].

ويقول:« **وهناك ألفاظ وصيغ عربية انفرد بعض كتابنا منها عن زيادة تأنق ومغالاة في طلب الأغراب فيخبطون في استعمال ألفاظ إلى ما يخرجها عن وضعها ويكسوها ثوب من القلق والإبهام، ومنها عن قلة المادة والجهل بمفردات اللغة ووجوه استعمالها فيأتي بها الكلام في منتهى الركاكة والسقم**»[2].

فالجهل بمفردات اللغة، وسوء استخدام تراكيبها، وإخراج ألفاظها عن وضعها الأصلي يؤدي لا محالة إلى ضعف وركاكة في الأسلوب. ومن أمثلة ذلك قول القائل إن تلك السجون كانت منبت الأوباء و مبترك الأمراض[3] ولفظ مبترك غريب في هذا الموضع لا يكاد يستخرج له معنى إلا بعد إطالة البحث وأغرب منه قول الآخر: أسال لها الفصاحة على لهواتها.

---

1 ينظر ، ابراهيم اليازجي، لغة الجرائد ، (مرجع سابق)، ص5-12.

2 المرجع نفسه، ص66.

3 ينظر، المرجع نفسه، ص66.

فاللهى واللهوات يجوز أن يكون كلاهما بفتح اللام فيكونان جمع لهاة وهي اللحمة المتدلية في أقصى الحلق، أو بضمها فيكونان جمع لهوة وهي العطية[1]، فالكاتب استعمل كلمة لهاة بغير معناها الذي وضعت له في الأصل.

ومنه نستنتج أن اليازجي كان يهدف من وراء وضع كتابة المعنون "**بلغة الجرائد**" استمالة الكتاب إلى النظر أكثر في هفواتهم وأخطائهم ومراعاة الضوابط والقوانين اللغوية التي تجعل من كلامهم يرقى إلى منزلة الكلام الفصيح.

وعليه فالفصاحة عند اليازجي هي مراعاة قواعد اللغة العربية وقياسها وأن تكون الكلمة عربية مسموعة عن العرب لا من كلام العامة، وكل ما خرج عن ذلك يعد فسادا في حق اللغة وخروجا عن الأصل.

2 أسعد خليل داغر:

يعد أسعد خليل داغر من المحدثين العرب الذين اهتموا بالفصاحة واعتنوا بها، فلم يخرج مفهوم الفصاحة عنده عن مفهومها عند القدماء فحاول في كتابه **تذكرة الكاتب**أن يصحح أخطاء الكتاب التي شاعت في الدواوين والرسائل فانتقد اللغة التي كانت تكتب بها فبالرغم من أنها كانت تكتب باللغة العربية إلا أن أسلوبها كان ركيكا: « **وهي مكتوبة كلها تقريبا باللغة العربية ولكنها بذلك الأسلوب الذي عبثت به الركاكة، وأكلت عليه السخافة وشربت، وهو المعبر عنه بلغة الدواوين ولا يقل مجموع ما وقفت عليه في هذه المدة عن أربعين ألف كتاب أو رسالة، كلها سواسية في كثرة اللحن وقلة التدقيق في اختيار الألفاظ الصحيحة والتراكيب الفصيحة**»[2]. فعلى الرغم من أن كتاب الدواوين والرسائل يكتبون باللغة العربية إلا أن أسلوبها ركيك، وسخيف، ويكثر فيه اللحن بسبب قلة تدقيقهم في اختيار الألفاظ الصحيحة والتراكيب الفصيحة.

ويرى أن اللحن والخطأ لم يقتصر على العامة بل طال حتى ألسنة الكتاب والشعراء فيقول في حديثه عن الأخطاء التي جمعها: « **إن هذه الألفاظ والتراكيب التي انتقدتها مأخوذة كلها تقريبا من أقوال الكتاب والشعراء الذين يشار إليهم بالبنان**»[3]. على الرغم من أنه الطبقة المثقفة التي ينبغي أن تحظى اللغة في ظلهم بالاهتمام والرعاية.

---

[1] ابراهيم اليازجي، لغة الجرائد ، (مرجع سابق)، ص123.

[2] أسعد خليل داغر تذكرة الكاتب، مؤسسة هنداوي، القاهرة مصر،د.ط،ت،2012م، ص12.

[3] المرجع نفسه، ص13.

وآخذ عن الذين صححوا الأخطاء أنهم يركبون أحيانا متن الغلو في التلحين والتغليط فيجاوزون حد التنبيه عن الخطأ إلى تخطئت الصحيح وتفنيد الصواب[1].

ويرى أن الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الخطأ والمغالطات عند الكتاب وتبعدهم عن الفصاحة كثيرا أهمها أربعة:

أ- اللغة العامية:

وهي أكبر عامل يوقع الكتاب في الخطأ فتجعلهم يتوهمون الخطأ صحيحا والغلط صوابا وهي إما خليط من الفصيح المصفح والمحرف وبعض الألفاظ المترجمة و إما وشيج من هذه ومن جانب كبير من الكلمات الدخيلة المعربة من اللغات الأجنبية التي تدفقت على بلاد العرب، وقد شاعت هذه اللهجات المختلطة كل الشيوع بين الناطقين بالضاد فصارت لغة التخاطب والتفاهم وشغلت أدهان الخطباء والكتاب و متحفرة كل حين للجري على أقلام هؤلاء وفي ألسنة أولئك فحلت محل الكلمات الصحيحة والتراكيب الفصيحة[2].

ب-كثرة السماعي في اللغة:

وهذا السماعي الغالب في عامي الصرف والإشتقاق عاثور كبير في طريق الكتاب قل من يأمن منهم السقوط فيه وهو يكثر بالخصوص في الأبواب الآتية:

-مزايدات الأفعال:

كالفعل الثلاثي والرباعي، وجميع هذه الأوزان تبنى عليها الأفعال لأغراض خاصة تستفاد منها. ولكن ليس بين الأفعال المجردة الثلاثية والرباعية ما نراه مبنيا على مزايداته كلها، والأغراض التي تستفاد من هذه الزيادات ليست مما يطرد ويصح أن يقاس عليه في كل فعل يبنى منها.

-باب الإلحاق:

وهو الموضوع للبحث عن بعض الأفعال الثلاثية التي ألحقت بالرباعي المجرد وبمزيديه: تفعلل أو فعنلل، فهذا الباب كله سماعي لا يقاس فيه البتة.

---

[1] ينظر، أسعد خليل داغر تذكرة الكاتب، (مرجع سابق) ، ص13.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص ص 17،18.

-لزوم الفعل وتعديه:

هناك بعض الأفعال مختصة باللزوم وهناك بعض الأفعال اللازمة تتعدى: إما بهمزة النقل أو تضعيف عين الفعل، أو بحرف الجر لكنه لا يوجد ضابط كلي لمعرفة الأفعال المختصة باللزوم، كما أنه لا يوجد دليل صادق عن الأفعال اللازمة التي تعدى ولا يوجد سبيل معين لتعيين الحرف مع الأفعال التي تعدى بحرف الجر، فجميعها تؤخذ بالسماع[1].

- أوزان المصدر:

أو الصفة المشبهة من الثلاثي، وما يبنى من هذه الصفات على وزني فعول وفعيل، مشترك بين اسم الفاعل واسم المفعول، وبعض أسماء الزمان والمكان من الثلاثي ولحوق تاء التأنيث لهما وبناء اسم الآلة، ومؤنث الوصف الذي على فعلان: على فعلى مثل: سكران وسكرى أو على فعلانة مثل ندمان وندمانة.

- أوزان جمع التكسير:

فهي كثيرة جدا ولكن ما يغلب منها قليل وما يقاس ويطرد أقل[2].«**هذه أمور وغيرها من السماعيات تعرض لنا فيما نكتبه أوننظمه، فننسى كونها مما يحفظ ولا يقاس، ونجريها مجرى المقيسات المطردة بلا تروي ولا تثبت، ونظل محجة الصواب**»[3].

ج-النقل:

هذا أيضا من أكبر الأسباب التي توقع بالكتاب في متايه الخطأ والغلط؛ إذ أنه كثيرا مايتفق للواحد منهم أن يقدم على استعمال كلمة أو جملة، وهو لا يملك من الأدلة على صحتها سوى كون فلان ممن يثق بطول باعه وسعة اطلاعه قد سبقه إلى استعمالها في كتابه.

د-إهمال اللغة:

ويراد به أن بعض طلبة العلم في المدارس قل ما يهتمون باللغة، فهم في الغالب يقتصرون منها على ما يمكنهم من اجتياز الامتحان وإحراز الشهادة[4].

---

[1] ينظر، أسعد خليل داغر تذكرة الكاتب، (مرجع سابق) ،ص ص 18،19.

[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص ص 20،19.

[3] المرجع نفسه ، ص20.

[4] ينظر، المرجع نفسه ، ص20،21.

وبعد هذا أخذ الكاتب في تصحيح الأخطاء التي يقع فيها الكتاب وتبعدهم عن الفصاحة ومن بين هذه الكلمات والتعبير نجد:

عرَّبَ، تَعريب، معرب: آخذ على الكتاب استعمال الفعل عرّب وما يشتق منه، مكان الفعل ترجم، فيغيرون معنى الفعل، ويحولون وجه استعماله لأن التعريب إنما هو نقل الكلمة بلفظها من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، أما نقل معنى الكلمة أو الجملة فهو ترجمة، ولعل المولعين باستعمال كلمة التعريب، يزعمون أن فيها معنى أرفع شأنا من معنى الترجمة، أو يرون لفظها أفخم وأفصح وهو زعم باطل.

- أجاب على السؤال، فتش عليه: يقولون أجاب عن السؤال، وذهب يفتش عليه فيعدون (من التعدية) كل من هذين الفعلين بـ: "على" والصواب أن يعدّ الفعل أجاب "بعن" فنقول: أجبت عن السؤال، أما الفعل فتش فيعد بنفسه إن أريد استعماله بمعنى تصفح مثل فتشت الكتب ويعد بعن إذا كان بمعنى سأل بمثل فتش عنه.
- أثناء كلامه:

وهي من الكلمات التي شاع استعمالها بين الكتاب فيقولون أشار الخطيب أثناء كلامه فينصبون "أثناء" على الظرفية وهي ليست ظرف ولا مضافة إلى ما تكتسب منه الظرفية لتستغني بها عن حرف الجر في، بل هي جمع "ثنى"، و "أثناء الكلام": أوساطه. فالصواب أن يقال: في أثناء الكلام[1].

- مارش: يطلقون كلمة مارش الأوروبية على ما ينظم ويلحن للتغني مع أن العربية فيها من الكلمات ما يغنيها عن الأخذ من غيرها فنجد فيها كلمة "النشيد" و "الأنشودة"[2].

3- مصطفى جواد:

تحدث في كتابه "في التراث العربي" عن مشكلات اللغة العربية، ورأى أنّ الحل لهذه المشكلات يكون بإصلاح تعابير المترجمين إليها من اللغات الأخرى، وينبه تنبيه جميلا على ما يقع في أساليب الكاتبين بها من سقط ولحن أو ضعف وغلط ويقبل لها التعابير التي لا تخالف طبيعتها، ويتساهل على الناشئة فيما يريدونه من الجمل الموافقة لقواعد العربية المقيسة عليها ويقر[3]«**إنّ ملزمون أبدا أن نقيس كلامنا على كلام العرب ولا نسقط فيه،**

[1] ينظر، أسعد خليل داغر تذكرة الكاتب، (مرجع سابق) ، ص ص30-34.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص44.

[3] ينظر، مصطفى جواد، في التراث العربي، منشورات وزارة الإعلام، العراق، د.ط،ت.1975م، ج.1، ص255.

ليكون كلاما عربيا»[1]. بمعنى أنه ليكون الكلام عربيا يجب أن يصاغ على كلام العرب ويقاس عليه وأن لايخرج على نظامه.

والكلام الفصيح عنده لا يستلزم استعمال التراكيب القديمة المعقدة وإنما يمكن بتوليد التعابير والتساهل فيها وفي استعمال الكلمات ما لم تخالف قواعد النحو ولم تخل بأصل وضع المفردات. فيقول: «**فمن حفظ القواعد العامة لتركيب الجمل وتدارس الكتب الأدبية العربية، أمكنه أن يكون فصيحا»**[2]. فالفصيح إذا هو من حفظ القواعد وتدارس الكتب العربية الأدبية.

و رأى أن أهل الصحافة قد تسامحوا و تساهلوا في كثير مما ينشرونه في نحو العربية وصرفها وبيانها، لأنّ من عادتهم السرعة فضلا عن إسراعهم في النقل والترجمة فشاعت تراكيب ركيكة ومصطلحات فجة، ومن التراكيب الفاسدة التي شاع استعمالها قولهم: كم هو جميل، وكم هي جميلة بدلا من ما أجمله و أجمل به، وما أجملها وأجمل بها،وما كان أجملها.

وهدف إلى الغاية بدلا من رمى إليها واستهدفها وتوخاها وقصد إليها، واستهتر بالقانون بدلا من استهان وتهاون به، وخالفهم وخرج عنهم، وتعدى حدوده، مع أن الاستهتار بالقانون هو العناية به والتمسك به كل العناية و التمسك[3].

4- محمد ضاري حمادي:

إن في كتاب "حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث" دليل واضح على امتداد مفهوم الفصاحة واتصاله بلغة العصر الحديث فقد خلص الباحث محمد ضاري حمادي إلى النتائج التالية:

إن كلام العرب واسع سعة لا تحد، فلا يصح الحكم بعدم ورود هذا الاستعمال أو ذاك في مثل ذلك الكلام، بل يمكن النص على أن المصدر أو المعجم هو الذي من ذلك الاستعمال وأن اللغة العربية في عصور الفصاحة هي الأساس دائما و أن مدار الفصاحة على الاستعمال وحده[4].

---

1 مصطفى جواد، في التراث العربي ، (مرجع سابق) ، ص56.

2 المرجع نفسه، ص ص56،57.

3 ينظر، المرجع نفسه،ص ص275،276.

4 ينظر، محمد ضاري حمادي، حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث دار الرشيد بغداد، د.ط.ت1980 م ص ص322-325.

فالفصاحة عنده تستمد معناها من الأصول التي وضعها القدماء من مراعاة للقواعد النحوية والصرفية، وأن تكون الكلمة جارية على الاستعمال العربي، وغير وحشية ولا غريبة.

ونستنتج مما سبق ذكره أن الفصاحة عند هؤلاء اللغويين (اليازجي، أسعد داغر، مصطفى جواد، محمد ضاري حمادي) لا تخرج عما اختطه الأوائل فالفصيح عندهم من سلمت لغته ولم يخرج عن قواعد اللغة العربية من نحو، و صرف، و أن تكون الكلمة من الكلام العربي، بعيدة عن العامية والوحشية.

5- عبد الرحمن الحاج صالح:

أن اهتمام الحاج صالح بالتراث اللغوي العلمي العربي كان واضحا وجليا حيث حاول في كتابه السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة القيام بمقارنة بين ما قاله العرب الفصحاء القدامى- وما قاموا به من بحوث- وما يقوله علماء العرب المحدثون.

ففي حديثه عن العربية ومعيارها اللغوي، ومحاولة تحديده بمقاييس موضوعية يرى أنّ انتشار الإسلام في القرن الأول للهجرة كان سببا في امتزاج العرب بغيرهم وتعايشهم في حواضر الإسلام كالكوفة والبصرة من جهة ومكة والمدينة من جهة أخرى، وأنّ هذا الاختلاط أثّر أيّما تأثير في العربية التي صارت في أفواه الأجيال الحضرية على غير ما كانت عليه.

فظواهر الاتصال اللغوي قد وصف جزء منها الجاحظ وذلك بالنسبة إلى العجم الذين دخلوا الإسلام وبدؤوا يتعلّمون العربية أمّا بالنسبة إلى أبناء العرب الذين ترعرعوا في القرى والمدن فإنّ لغتهم ولغة الّذين تعرّبوا من العجم كانت قد اختلفت فيما بينهم، يتكلمون بحسب «النازلة من العرب» في كل قرية ومدينة. فهذا الكلام على حسب الحاج صالح قد يفهم منه أنّ العرب الّذين استوطنوا هذه الأمصار قد كانت لهم لغات مختلفة في غابر الزمان وهنا يطرح الحاج صالح نقاط استفهام فيقول: هل هذا معناه أنّ العربية التي أتى بها العرب إلى هذه القرى كانت لهجات مختلفة؟. وما بال الشعر جاء بلغة موحدة ولغة القرآن؟[1]

ويضيف الحاج صالح أنّ هذا هو الّذي يفسره الكثير من الناس في زمننا بوجود لغة أدبية مشتركة ،وهذا على حدّ قوله مجرّد افتراض.

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)، ص25.

وبعد الفتح الإسلامي إلى زمن سيبويه كان الوضع اللغوي كما وصفه القدامى كما يلي: كانت في ذلك الزمان ثلاثة أنواع من اللغات:

- عربية يتكلم بها معظم العرب ويسميهم سيبويه «**فصحاء العرب**» يسكنون البداوي والحواضر
- عربية بدأت تظهر عند بعض العرب الموالي في المدن خاصّة ووصفت باللحن (وتسمى هذه اللغة الكلام الملحون أو الدارج أو العامي).
- لغات عجميّة خاصّة بالعجم وسماهم الجاحظ «بالعلوج».

وقد كثر عدد الناطقين بالملحون واحتاجوا منذ زمان مبكّر إلى من يلقنهم العربية غير الملحونة ، تحوّلت العربية على ألسنتهم شيئا فشيئا حتى كادت تصير لغة أخرى كما تحولت العربية الفصحى التي كانوا يتلفظونها بالتلقين عند المثقفين منهم إلى لغة ثقافية مشتركة وذلك بين الناطقين بالعربية خاصة بعد اختفاء السليقة اللغوية في نهاية القرن الرابع عشر سميت بلغة العامة منذ نهاية القرن الثاني.

ويضيف الحاج صالح أنّ أوّل تغير حصل هو السقوط لبعض العلامات الإعرابية، ثم حصل لبعض حركات بناء الكلمة.

كما يشير إلى التحول اللغوي للعربية وذلك على ألسنة من سموهم «بالمولّدين» في بداية القرن الثالث حيث أدى هذا التحول إلى ظهور حركة كانت تهدف إلى معالجة أمور خطيرة، دينية واجتماعية وسياسية منها النطق الخاطئ للنص القرآني وبالتالي تغيير معانيه عن جهل دون قصد[1].

وفي تحديد الحاج صالح لمفهوم الفصاحة كمصطلح نحوي لغوي نجده يقول في ثنايا كتابه « **الفصيح الذي يجوز عند علماء العربية الأخذ بلغته هو إذن الناطق الذي اكتسب ملكته اللغوية في العربية الفصيحة (لغة القرآن) بالسليقة أي في أثناء نشأته بدون تلقين وفي بيئة من السليقيين الناطقين بتلك اللغة فذلك هو الأمر تماما في زمننا بالنسبة لأي لغة و أي لهجة وهذا ما يقرّه علماء اللسانيات** »[2].

نستشف من القول أن علماء العربية وضعوا شروطا للفصيح الذي تؤخد اللغة العربية عنه ومنها: أن يكون قد اكتسب لغته بالسليقة؛أي من بيئته التي نشأ بها وأن تكون هده اللغة موافقة للغة القرآن.

---

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)،ص ص25-27.

[2] المرجع نفسه ، ص ص40،41.

ويرى الحاج صالح أنّ السليم اللغة ليس شرطا أن يكون من السليقيين، بحيث يمكن أن يسمى عند غير النحويين فصيحا فقد يكون أبلغ الخطباء وأشعر الشعراء غير أنّ هذا لا يؤهله لأن نأخذ بلغته ،وهذا راجع إلى تأثير منشئه اللغوي الذي نشأ عليه بلغة أخرى، وهذا يتضح لنا جليا عند مخاطبته لمن حوله في الحياة العادية مستخدما لغة ملحونة ما يجعل اللجوء إليه أمرا مستبعدا خاصة في ظل وجود من هو سليقي -في وقت معين- يمثل تماما من حيث اللغة الجماعة من الناطقين باللغة المعنية بالأمر وهي —هنا عربية القرآن- ولو كانوا غير بارعين في خطاباتهم من حيث البلاغة وغير السليقي قد يكون مماثلا له في سلامة لغته التي لا تستمر في كل الأحوال، مع العلم أنّ هذا ينطبق على جميع أنواع اللغات قديما وحديثا يضيف الحاج صالح.

وعلى هذا فلا علاقة إطلاقا بين السليقة كما حددها أبو مسحل وفهمها علماء العربية، وبين الجنس أو العرق كما يزعم بعض المحدثين[1].

وفي إطار تحديد الحاج صالح وتتبعه لتطور مدلول الفصاحة كمصطلح عند اللغويين في القرن الثالث وما بعده بدءًا بسيبويه وشيوخه وأتباعه، مرورا على ما قاله القراء في «**معاني القرآن**» وما رواه فيه عن شيوخه معرّجا أيضا على كتاب «**اصلاح المنطق**» لابن السكيت، فيخرج مجموعة من الاستنتاجات وهذا فيما يخص صفة الفصيح التي تنطبق ابتداء من ابن السكيت أو قبل ذلك بقليل على:

1- كلام العرب و ضروبه التي لا يتكلم الفصحاء بغيرها فلا توجد إلا في هدا الكلام و على صورة واحدة و هو ما يسميه سيبويه بالمطرد (في الاستعمال) و يوجد في اللسان العربي.
2- ضروب من كلام العرب يكثر استعمالها، و قد يكون بعضها أكثر استعمالا من بعض و يسمى الفصيح و تسمى اللغات عند سيبويه و شيوخه و أتباعه و لغات فصيحة و غيرها لغات فقط في عهد ابن السكيت.
3- مثل ذلك إلا أنه قليل في الاستعمال و بعض هدا القليل قد يوصف بأنه فصيح رديئ و أما اللحن

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)، ص41.

فهو ما سمع من المولد لا يتكلم به فصحاء العرب[1]

إن الفصيح في لغة من اللغات قد يكون اكتسب فصاحته أي ملكته الخاصة بالتلقين، أو باللجوء إلى معلّم إما لأنّه لم يكتسب هذه اللغة من بيئته التي نشأ فيها فهذه اللغة ليست هي لغة منشئه، وقد تكون هذه البيئة التي نشأ فيها يتكلّم أفرادها بالعربية قد ابتعدت عن لغة القرآن. وهؤلاء لم يقصدهم سيبويه بل قصد الذين اكتسبوا اللغة التي ينطقون بها من بيئتهم الأولى، فلغتهم لم تبتعد عن عربية القرآن وهم أصحاب السليقة الفصيحة.

فاللفظ الفصيح هو كل ما ثبت وجوده وسمعه أكثر من باحث في كلام هؤلاء الفصحاء الذين لم تتغير لغتهم، أما ما لم يسمع ولم يوجد في القرآن فليس من كلامهم هو الفاسد من الكلام، والفصيح غير السليقي لم يأخذ عنه العلماء فهو غير مأمون من الخطأ فقد تعاوده لغة منشئه.

ويرد الحاج صالح على من قال في زمننا الفصاحة فصاحات ولا ينبغي أن تتقيد بزمان أو مكان أنّ هذا القول صحيح في ظاهره ويعلل أنّ كل لغة يمكن أن يعتبر أصحابها فصحاء إذا لم تتغير لغتهم وهذا عند أهل الاختصاص في زمننا[2].

وأما الفصاحة عند النحاة العرب فهي مقياس يتبين به بقاء الناطق بالعربية على معيارها (النظام النحوي والصرفي) وهي لغة القرآن.

وعن المقاييس الزمانية، والمكانية للفصاحة السليقية يشير الحاج صالح إلى أنّ بعض الباحثين المحدثين يقولون أن العربية أخذت من أهل البدو وكلها في زمان معين، ومن بعض القبائل دون بعض وأنّ جل ما اعتمد عليه النحاة كان شعرا وأنّ كل ما دونه كان خليطا بين اللغة المشتركة الأدبية واللهجات، ويعتقدون أنّ لغة تخاطبهم اليومي هي اللهجات، فالفصاحة في الأصل هي الملكة اللغوية الخاصة بالذين يفهمون وينطقون باللغة التي نزل بها القرآن وهم هنا كمرجع زماني مكاني[3].

ونجد أنّ عبد الرحمن الحاج صالح في رده على هؤلاء يركز على ثلاثة حقائق هي:

---

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)، ص ص41-46.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص ص61،62.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص ص64-66.

1- لم تكن الفصاحة مقصورة في القرنيين الأول والثاني على أهل البدو: ففي زمان عمر ابن العلاء كان أكثر العرب باقين على فصاحتهم في البدو والقرى وهو غير زمان الجاحظ والمبرد، إذا كانت رقعة الفصاحة العفوية في بداية القرن الثاني يعيش جل أهلها في الحواضر بل قد ولد وترعرع بعض من استشهد بكلامهم في الكوفة والموصل، وكان منهم شعراء وخطباء بحيث تم الاستشهاد بكلامهم كما استشهد بكل فصيح من أهل الحضر في ذلك الزمان. فقد استشهد بالأخطل الذي ولد في الحيرة.

2- لم تكن الفصاحة مقصورة على القدامى من العرب: إنّ المقياس الوحيد لدى النحاة هو بقاء الملكة اللغوية العفوية العربية عند بعض العرب ،ولم يكن المقياس التمسك بالقديم فالعلماء الأولون كانوا يأخذون من معاصريهم ويمتنعون من ذلك بالنسبة إلى من هو أقدم ممن تغيرت لغتهم، فاللحن لم ينتشر كثيرا في العصر الأول ولدا فأكثر سكان المدن العرب وممن نشأ في بيئة عربية كانوا باقين على فصاحتهم في هذا العصر بدليل كثرة من استشهد بكلامهم من أهل الحضر حتى النصف الأول من القرن الثاني[1].

3- لم تكن الفصاحة مقصورة على العرب الأقحاح: فقد رد الحاج صالح على من ادعى أن مقياس الفصاحة كان عنصريا بدعوة أن الأعجمي الأصل لا يمكن أن يبلغ ما بلغه العربي من القدرة على التعبير الفصيح بأنه وهم خطير جدا، و يكفي لردّ عليه استحضار بعض أسماء الشعراء الدين كانوا من أصل غير عربي و استشهد بشعرهم كل اللغويين لأنهم اكتسبوا العربية في صباهم فلم تكن لهم لغة أخرى تؤثر فيهم، و أفضل مثال المنتجع بن نهبان وهو سندي سبي صغيرا وكبر في وسط فصيح في بني تميم.[2]

نستنتج مما قاله الحاج صالح فيما يخص مفهوم الفصاحة، أن علماء اللغة العرب القدامى يشهد لهم التاريخ بأسبقيتهم في تدوين اللغة عن طريق السماع –مباشرة دون وسائط – و دلك من أفواه الناطقين بها متعرضين لجل قبائل العرب و دلك عبر مراحل مدرسة بعناية، و على مقايس الفصاحة أفرادها .

و الفصاحة عندهم هي صفة الذي لا ينطق إلا بلغة منشئه ، ولم يحصل أي تغير أو تبدل في لغته ، مع العلم أن مرجعهم الذي يستندون عليه هو لغة القرآن ،و كذلك لغة السليقين.

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة،(مرجع سابق)، ص ص69،70.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص71.

أما بالنسبة إلى ادعاء بعضهم فيما يخص اللغة التي كان ينطق بها في ذلك الزمان، و أنها لغة أدبية مشتركة نزل بها القران و نظم بها الشعر و بجانبها لغات عربية يتخاطبون بها في حياتهم العادية، فنجد الحاج صالح يكذب هدا الادعاء مستعينا بنصوص أدبية.

بعد انتهائنا من عرض أراء القسم الأول من المحدثين حول مفهوم الفصاحة سنحاول أن نستعرض في هذا المبحث أراء القسم الثاني من اللغويين المحدثين، والذين وجدناهم يخالفون آراء القسم الأول وينظرون نظرة مغايرة لمفهوم الفصاحة عند القدماء ومن بين هؤلاء نجد:

1- إبراهيم أنيس:

الذي يرى أن الفصاحة أو ما يسمى بالسليقة كان لها عند القدماء ارتباطا وثيقا بالجنس العربي، ولذا كانوا يعتقدون أن غير العربي لا يمكنه أن يتعلم اللغة العربية ولو ولد ونشأ في بيئة عربية فيقول بعد أن عرف السليقة عند المحدثين: « **أما الأقدمون من علماء العربية فقد سيطرت عليهم فكرة أخرى و رأوا أمر الكلام بالعربية يرتبط ارتباطا وثيقا بالجنس العربي ولذا ينكرون على الفارسي أو اليوناني إمكان إتقان هذه اللغة كما يتقنها أهلها من العرب**(...) **فكأنما تصور هؤلاء الرواة أن هناك أمر سحري يمتزج بدماء العرب، فيختلط برمالهم وخيامهم وهو سر السليقة اللغوية يورثه العرب لأطفالهم وترضعه الأمهات لأطفالهن في اللبن ولذا لم يتورع الرواة عن الأخذ من صبيان العرب والرواية عنهم**»[1].

فإبراهيم أنيس يعتقد أن القدماء ربطوا بين الفصاحة والجنس العربي،ولكن هذا غير صحيح لأن العرب لم يربطوا بينهما،ولم ينكروا على الفارسي أو اليوناني إمكان إتقان اللغة العربية ،بل أنكروها على كبار السن منهم فهم لايستطعون إتقان العربية مهما طالت إقامتهم في البلاد العربية، أما من جلب صغيرا ونشأ في البيئة العربية فقد احتج بكلامه .يقول الحاج صالح:«**ويكفي لدفع ذلك والرد عليه أن نذكر أسماء الشعراء الذين كانوا من أصل غير عربي واستشهد بشعرهم كل اللغويين** ».فالعرب لم يربطوا الفصاحة بالجنس العربي بل ربطوها بالمنشأ اللغوي.

[1] إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط.6،ت.1978م، ص36.

ولم يقتصر إبراهيم أنيس في حديثه على ربط الفصاحة بالجنس العربي بل تعداها إلى التشكيك في المقاييس الزمانية والمكانية للفصاحة فيقول: « **ولذا لم يروا في شعر أبي تمام والمتنبي ما يؤهلهما لتلك السليقة اللغوية التي قصروها على قوم معينين وقصروها على زمان معين، وقصروها على بيئة معينة فنشأ في مخيلاتهم ما يمكن أن يعبر عنه بدكتاتورية الزمان والمكان و مغالين في الحرص على العربية والاعتزاز بها**»[1].

فهو يرفض هذه المقاييس التي وضعها النحاة ويعلل هذا الرفض باستشهاده بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمع أنّ منافقا نال من عروبة سليمان الفارسي دخل المسجد غاضبا وقال:« **أيها الناس إنّ الرب واحد والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا من أم وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي**»[2].

وقد تحدث في كتابه "في اللهجات العربية" عن مقاييس الفصاحة ومسألة الاحتجاج لدى العلماء، فرأى أن جمهور العلماء القدماء قد أجمعوا على الاحتجاج بنصوص القرآن، و الشعر حتى منتصف القرن الثاني هجري.

أما عن الاستشهاد بالحديث فقد رأى أنّ العلماء انقسموا فريقين: فريق يمنع الاحتجاج بالحديث، وفريق يجوّز الاحتجاج به وقد أيد إبراهيم أنيس الفريق الأول، فقال أما قولهم إنّ تدوين الحديث كان قبل فساد اللغة ففيه نظر لأن المعروف أنّه دون في القرن الثاني للهجرة في الأمصار؛ أي بعد عصر الاحتجاج وقد ظهر اللحن في أواخر عهد بني أمية، زيادة على هذا فإنّ علماء العربية المتقدمين سكتوا عن الاستشهاد به إلا القليل.

أما عن المقاييس المكانية فقد قال أنّ العلماء قد فرّقوا بين القبائل فأخذوا عن بعضها ورفضوا الآخر عن البعض الآخر، وقد رأى أنّ العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين:

الأولى: مقدار قرب مساكنها من مكة وما حولها، والثانية مقدار توغلها في البداوة.

---

[1] إبراهيم أنيس، من أسرار العربية،(مرجع سابق)، ص37.

[2] ينظر، المرجع نفسه،ص37.

وآخذ عن العلماء مبالغتهم في الاحتجاج بلغة القبائل المتوغلة في البداوة ،كما آخذ عنهم احتكامهم في مسائل اللغة إلى الأعراب دون تمييز بين المثقف وغير المثقف، ورفضهم للأعرابي الذي يعيش فترة في الحضر[1].

«ونلحظ في احتكامهم في مسائل اللغة إلى الأعراب الوافدين إلى الأمصار أيا كانت ثقافاتهم أو مركزهم الاجتماعي اعتقادا منهم أن هؤلاء الأعراب قد انعزلوا عن البيئة المتحضرة التي فسدت لغتها وأنّهم ورثوا اللغة السليمة الصحيحة»[2].

ونقول أنّ العلماء في احتكامهم في مسائل اللغة وإلى الأعراب، لم تكن تهمهم ثقافة الأعرابي ومركزه الاجتماعي بقدر ما اهتموا بتوفر الشروط التي حددوها لذلك كعدم اختلاط لغة البدوي بلغة المولدين، بل نجدوا أن العلماء فضّلوا الطبقات الدنيا على الطبقات الراقية فالرقي والثقافة موضعهما الحضر لا البادية.

وقد ذهب ابراهيم أنيس إلى أبعد من ذلك فزعم أن الإعراب عبارة عن قصة مفتعلة من طرف النحاة العرب وما هو إلا ناحية متواضعة من نواحي اللغة وأنهم عدّوه مظهر ثقافتهم يتنافسون في إتقانه ويخضعون أقوال الأدباء لميزانه، فليس الفصيح في رأيهم إلا من راعى قواعده وأخذ نفسه باتباع أصوله ونظامه.

وآخذ عن الشعراء التزامهم بهذه القواعد التي ابتكرها النحاة وقاسوا ما لم يسمعوا على ما سمعوا وأسرفوا في قياسهم، حتى أنهم عدوه الفصاحة كل الفصاحة، ووصفوا الخروج عن القواعد الإعرابية باللحن، وأصبح كافيا للحطّ من منزلة الخطيب أو الشاعر.

ويرى أنّ القدماء لم يفرقوا اللحن، أهو اللحن الإعرابي الذي يتعلق بأواخر الكلمات وحركاتها أم هو نوع آخر من الخطأ اللغوي، ويقول أنهم إن كانوا يعنون باللحن الخطأ الإعرابي[3]، **«فحين إذا لا مناص لنا من أن نعد ظاهرة الإعراب من الظواهر التي لا يمكن أن تمت للسليقة اللغوية بصلة»**[4].

وعليه فظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقية في متناول العرب جميعا بل صفة من صفات اللغة النموذجية.

---

[3] ينظر، إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط.3، ت1965، ص43-45.

[1] ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية،(مرجع سابق)، ص45.

[2] ينظر، إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، ،(مرجع سابق)،ص ص198-201.

[3] المرجع نفسه، ص202.

فالقواعد الإعرابية في رأي إبراهيم أنيس هي من وضع النحاة، وهي ليست شرط في الفصاحة بل فرضت على الفصحاء بعد عصر الاحتجاج.

2- رمضان عبد التواب:

لقد نهج رمضان عبد التواب نهج إبراهيم أنيس في ربط الفصاحة بالجنس العربي عند القدماء فقال:«**وليس في السليقة اللغوية لدى المحدثين، شيء غامض، كما كان علماء العربية القدماء يظنون، حين ربطوا بينها وبين البداوة حينا، أو الجنس العربي حينا آخر**» [1].

فالعرب القدامى أخذوا اللغة عن العرب، وعن الأطفال والمجانين والنساء، وأنّهم تحدثوا عن الفصيح، والأفصح، والأقل فصاحة، والرديء، والمذموم، و الشاذ، والوحشي، والغريب، والنادر وهي مستويات في اللغة، لكن المعايير التي استندوا إليها في تدوين اللغة كانت معايير غامضة فيقول وجدناهم يقسمون تلك اللغة إلى أقسام: القرآن الكريم فقالوا: إن كل رواياته صحيحة حتى الشاذ منها فأما الحديث فقد رفضوا الأخذ به في الاستشهاد لأنّه كان يُروى بالمعنى وأن بعض رواته كانوا من المولدين، ويرى أنها حجة واهية لأنّ رواة الحديث كانوا يعيشون في حيز عصور الاحتجاج وحتى لو رووا الأحاديث بالمعنى فإنّهم ممن يحتج بلغتهم.

وأما بالنسبة للشعر فقد قسمه اللغويين إلى أربع طبقات: طبقة الجاهليين، والمخضرمين وأجمع العلماء أن يحتج بهاتين الطبقتين دون منازع أما، طبقة الإسلاميين فمعظم اللغويين يرون الأخذ بشعر هذه الطبقة إلا القليل، وأما الطبقة الرابعة وهم المولدين فلم يحتج بها إطلاقا.

ويرى أنّهم حين تعرّضوا للنثر سلكوا مسلك مخالف لذلك فهم يختلفون في الفصيح منه، وغير الفصيح، ويضعون قوائم بأسماء القبائل التي يصح أخذ النثر عنها وقد بنوا هذا الوضع على أساسين: كلما قربة القبيلة من بيئة قريش كانت أقرب إلى الفصاحة، والثاني على قدر توغل القبيلة في البداوة تكون فصاحتها[2]. لكن هذا لا ينطبق على النثر وحده بل ينطبق عليه، وعلى الشعر وعلى غيرهما من الكلام الذي جمع في زمن الاحتجاج وعرف بالمدونة اللغوية، وأخذهم عن القبائل المتوغلة في البداوة كان بسبب أن هذه القبائل حافظة على فصاحة لغاتها من اللحن والخطأ.

---

[1] رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط.6.ت.1999م، ص95.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص ص97-103.

وأورد قولا **لتولدكه** يقول فيه: « **إنّ أعلم علماء النحو، ليجعل من أول شخص قادم من البادية إليه، ذلك البدوي الذي لم يتعلم والذي لا يحفظ عشرين آية من القرآن الكريم ولا يعرف شيء عن مفاهيم النحو النظرية ذلك البدوي، ويجعل منه النحاة حكما فاصلا فهل يجوز أن يقال كذا أو كذ في العربية**»[1] .

فتولدكه يتعجب من النحاة كيف يأخذون من هذا البدوي، لأنه في اعتقاده جاهل لا يحفظ القرآن، ولا يعرف مفاهيم النحو النظرية حكما فاصلا يؤخذ عنه في مسائل اللغة، ولكن الأمر على عكس ذلك لأن لغة البدوي الفصيح توافق لغة القرآن ولا يحتاج إلى معرفة مفاهيم النحو لأنه اكتسبها بالسليقة.

كما يرى رمضان عبد التواب أنّ اللغويين في جمعهم للنثر خلّطوا بين العربية الفصحى واللهجات « **وأعجب من هذا أنّ هؤلاء اللغويين خلّطوا في جمعهم للنثر بين اللغة العربية الفصحى واللهجات**»[2].

نستنتج أنّ رمضان عبد التواب يعترض على المقياس المكاني للفصاحة وأنّ اللغويين خلّطوا بين اللغة الفصحى واللهجات في جمعهم للنثر وكأنّ هذه اللهجات ليست فصيحة في نظره.

3- تمام حسان:

يرى تمام حسان أنّ السليقة اللغوية أو ما يعرف بالفصاحة تكون بالاكتساب والتدريب وليس بالطبع فيقول: « **وليس صحيحا أنّ اللغة العربية في دم العربي تظهر على لسانه ولو ولد في بيئة أجنبية (...) وليس مستسيغا أنّ المرء إذا أنشأ على الكلام بلغة بقي أمينا على تمثيل هذه اللغة ونطقها برغم المؤثرات الخارجية**»[3].

فاللغة العربية عند تمام حسان تكتسب بالتدريب والميران،وليست أمر طبعي فطري تجري في دم العربي،وتظهر على لسانه كما كان يعتقد القدمى.

ويورد تمام حسان نصوصا لعلماء عرب قدامى يزعم أنّهم يقولون فيها بفكرة الطبع في السليقة اللغوية ويرى أنّ القائلين بالطبع كثرة فذكر منهم ابن جني الذي أتى بحكاية أبي حاتم السجستاني مع الأعرابي في قوله تعالى:

---

[1] ينظر، رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية ،(مرجع سابق)، ص105.

[2] المرجع نفسه، ص 106.

[3] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط.4،ت.2001م،ص ص75-76.

﴿**طوبى لهم**﴾ فالأعرابي كان يقرأها طيبى لهم فقال له : طوبى فقال الأعرابي طيبى، فأعاد طوبى فقال: طيبى. فقال طوطو، فقال طي طي.

كما يذكر قول الشاعر الكلبي:

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قد اخْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ وَ بَيْنَ قَوْمٍ عَلَى إعْرَابِهِمْ طَبَعُوْا

وقول السيوطي: «و إنما مكنت القول في هذا الموضع ليقوى في نفسك قوة حسن هؤلاء القوم، و أنهم قد يلاحظون بالمنه والطبع ما لا نلاحظه نحن على طول المباحثة والسماع». وكذلك قول إبراهيم مصطفى:«**و تأليف الكلمات في كل لغة يجرى على نظام خاص بها، لا تكون العبارة مفهومة و لا مصوّرة لما يراد حتى لا تجرى عليه و لا تريغ عنه. والقوانين التي تمثل هذا النظام وتحدده تستقرّ في نفس المتكلمين وملكتهم وعنها يصدر الكلام، فإن كشفت ووضعت ودونت فهي علم النحو**»[1].

و يقول تمام حسان في البيت الشعري أنّ الشاعر مطبوع على الإعراب فلو أراد أن ينطق بما يعارضه لما استطاع إلى ذلك سبيلا، وبالعودة إلى قول السيوطي نجد أنّ تمام حسان يعلق عليه بقوله أنّه يرى العرب في كلامهم يلاحظون بالمنة والطبع ما لا نلاحظه نحن بطول المباحثة والسماع، فهم يلاحظون رفع الفاعل ونصب المفعول وإعراب المضارع (...) وتلك تقتضي من متعلم العربية أن ينتبه إليها إذا أراد أن يكون كلامه صحيحا من الناحية النحوية، ويقول عن إبراهيم مصطفى أنّه قد انحاز إلى جانب الطبع ففي كلامه عن النظام النحوي للّغة رأى أنّ هذا النظام استقرّ في نفوس المتكلمين و ملكتهم وأنّ كلامه هذا وإن لم يركن إلى القول بالطبع لا يبدو في استعمال كلمة الملكة والنّفس فيه من الغموض، ما لم يجعلني أطمئن اطمئنانا تاما إلى سلكه في عداد القائلين بالاكتساب، ولذا رأيت أن أضعه بين القائلين بالطبع[2].

أتى بكل هذه الشواهد لكي يدلل على أن النحاة واللغويين كانوا يعتقدون أن السليقة أو الفصاحة أمر طبيعي لا مكتسب، ولكن كيف يمكن للعلماء العرب أن يقولوا بأن الفصاحة طبع عند العرب،وهم يشاهدون الأعاجم صاروا فصحاء،بل حتى علماء مثل:سيبويه،و ابوعلي الفارسي،والزمخشري.

---

[1] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ، (مرجع سسابق)، ص ص80،79.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص ص80-82.

كما أن هؤلاء الذين ذكرهم لم يكونوا يعنون بكلمة الطبع، ما هو طبيعي فطري كما اعتقد بل كانوا يعنون ما اعتاد عليه الإنسان فصار كأنه فطري.

وفي الأخير نستخلص أن أراء هؤلاء اللغويين الثلاثة (إبراهيم أنيس، رمضان عبد التواب، تمام حسان) في حديثهم عن الفصاحة تتمحور في نقاط أساسية هي:

- اعتقادهم أنّ القدامى ربطوا الفصاحة بالجنس البشري.
- التشكيك في المقاييس الزّمانية والمكانية و أنّها غامضة.
- الإعراب قصة مفتعلة من طرف النحاة العرب وأنّ هذه القواعد لا يمكن أن تكون مقياس للفصاحة.
- آخذوا عن العرب مغالاتهم في الاستشهاد بالقبائل المتوغلة في البداوة.

و أنّ العرب خلطوا بين اللغة الأدبية المشتركة و اللهجات ولذلك لا يمكن أن نعدّ لغتهم لغة أدبية مشتركة.

المبحث الثاني : الفصاحة عند البلاغين المحدثين.

إنّ البلاغين المحدثين في دراستهم للفصاحة ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم الذين وجدناهم يعيدون ما قاله القدماء في الفصاحة مع إضافات تتمثل في الشرح والتلخيص، ومن بين هؤلاء نجد:

1- عبد الرحمن جنكة:

في كتابه" البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" فقد بدأ بتعريف الفصاحة في اللغة كما فعل جل القدماء وقال أنّها عند أهل اللغة تعني البيان والظهور، ثم تعرض لمفهومها في اصطلاح علوم البلاغة ورأى أنها تأتي وصفا للكلمة الواحدة ووصفا للكلام ووصفا للمتكلم، فيقال كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلّم فصيح.

فقال عن الكلمة الفصيحة أنّها الكلمة العربية التي تخلو من أربعة عيوب وهي التنافر والغرابة ومخالفة القياس، وكراهية السمع لها، وفصل في ذلك بأمثلة وردت عن القدماء، ثم تحدث عن فصاحة الكلام وأن الكلام الفصيح عند علماء البلاغة ما كان سهل اللفظ واضح المعنى، جيد السبك متلائم الكلمات، فصيح المفردات، غير مستكره ولا ممجوج ولا متكلف ولا مخالف لقواعد العرب في نحوها وصرفها، وغير خارج عن الوضع العربي في مفرداته وتراكيبه وليس في كلماته تنافر و لا تعقيد ثم ذكر أربعة عيوب لابدّ أن يخلو منها الكلام حتى يكون فصيحا:

العيب الأول: تنافر الكلمات عند اجتماعها ولو كانت مفرداتها فصيحة.

العيب الثاني: ضعف التأليف.

العيب الثالث: التعقيد اللفظي.

العيب الرابع: التعقيد المعنوي[1].

فصاحة المتكلم:

المتكلم الفصيح هو من كان كلامه فصيحا، وكان ذا ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقصوده بكلام فصيح دون تلعثم، و لا تلكؤ، فما جاء من معنى استطاع التعبير عنه بيسر وسهولة وبكلام فصيح المفردات، وفصيح الجمل والتراكيب[2].

---

[1] ينظر، عبد الرحمن جنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط.1،ت،1996م،ج.1، ص ص116-125.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص ص126-127.

2- عبدو عبد العزيز قليقلة:

تحدّث هو الآخر عن مفهوم الفصاحة في اللغة، وأنّها تعني الظهور والبيان، وكذا في اصطلاح البلاغين فقال أنّها تكون وصفا للكلمة ووصفا للكلام ووصفا للمتكلم، فيقال هذه كلمة فصيحة وهذا كلام فصيح وهذا متكلّم فصيح.[1] ثم فصل في فصاحة الكلمة وشروطها وأنّها تتحقق بخلوها من:

- تنافر الحروف
- مخالفة الوضع
- الغرابة

أمّا فصاحة الكلام فهي أن يبرأ من عيوب ثلاثة وهي:

- تنافر الكلمات مجتمعة.
- ضعف التأليف
- التعقيد بنوعه اللفظي والمعنوي

وقال عن فصاحة المتكلم أنّها ملكة يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، وأنّ ملكة الفصاحة تكتسب عن طريق التمرس بالآثار الأدبية شعرا ونثرا، قراءةً وحفظاً وفهماً[2].

وبالعودة إلى كتاب الكافي في علوم البلاغة العربية، نجد أنّ صاحبي الكتاب: عيسى علي العكوب وعلي سعد الشتيوي؛ يسيران في نفس المنحى بحيث عرّفا الفصاحة في اللغة وفي اصطلاح البلاغين، وتحدثا عن فصاحة الكلمة والكلام[3].

والأمر نفسه نجده عند حامد صالح الربيعي، الذي تناول في فصل من فصول كتابه مقاييس الفصاحة فعرّفها في اللغة وعند البلاغين.

[1] ينظر، عبد وعبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط.3، ت.1992م، ص21.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص ص21-29.

[3] ينظر، عيسى علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، الجامعة المفتوحة، الإسكندرية،د.ط،ت.1993م، ص ص25-36.

وتحدث عن مقاييس فصاحة الكلمة على: المستوى الصوتي والمستوى الدلالي ومستوى البنية الصرفية، وكذا عن فصاحة الكلام والمتكلم[1].

فقد أعاد هؤلاء الكتاب وغيرهم أمثال: (أحمد الهاشمي[2]، علي الجارم[3]، وأحمد مصطفى المارغي[4]، وبكري الشيخ أمين[5] وأديب الصيعبي[6]...) كل ما قاله القدماء عن الفصاحة وأقسامها وشروطها مع تقديم شروح وتلخيصات لها، حيث نجد أنّ بعضهم ينهجون نفس منهج القدماء في الكتابة فيجعلون الفصاحة مقدّمة لكتبهم. فلم تشد أقوالهم في الفصاحة بشيءٍ عما قاله القدامى.

أما الفريق الثاني وهم الذين خرجوا عن القدماء في بعض أرائهم البلاغية حول الفصاحة، وُجِدت عندهم بعض الآراء في الفصاحة ومفهومها وما يتبع ذلك من شروط وأقسام، ومن بين هؤلاء البلاغين المحدثين

3- أمين الخولي:

الذي آخذ عن القدماء تقديمهم بين يدي الدرس البلاغي بحوثا أصولية، أو منطقية ورأى «**أن ندرس في هذه المقدمة القوى الإنسانية بعامة وماله منها أثر فني بخاصّة، فنعرف غير قليل، عن الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الأخرى بمناحية عمله النفسي، ونعرف مثل ذلك عن الخيال والذاكرة الإحساس والذوق، كما ينبغي أن نعرف الكثير عن أمّهات الخوالج الإنسانية**»[7].

بمعنى أنه بدلا من دراسة البحوث الأصولية في مقدمة الدرس البلاغي، نستبدلها بمقدمة نفسية ندرس فيها القوى الإنسانية وتأثيرها الفني كالوجدان والخيال، والذاكرة، والإحساس،والدوق،وعلاقتها بمظاهر الشعور.

---

1 ينظر، حامد صالح الربيعي، مقايس البلاغة بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، مكة، د.ط،ت.1996م، ص ص461-533.

2 أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مطبعة السعادة، مصر، ط.12، ت.1960م.

3 علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، ط.17، ت.1964م.

4 مصطفى المراغي، علوم البلاغة، مكتبة المحمودية التجارية، مصر، ط.5، د. ت.

5 بكري الشيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، مطبعة العلوم ، لبنان ، ط.1 ، ت .1979م، ج1 .

6 أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد مطبعة العلوم، لبنان، ط.1، ت.1979م ج1.

7 أديب الصيعبي وحسيب الغالب، بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، ت.1971م.

ولقد قصر ملاحظته هذه على التلخيصات والشروح فتحدّث عن تلخيص القزويني و إيضاحه وما شمله من حديث عن البلاغة و الفصاحة و أقسامها ولم يتطرق في حديثه عن الفصاحة و البلاغة إلى أبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي وابن الأثير، فهؤلاء حسب رأيه لم تطغى البحوث الأصولية أو المنطقية على بحثهم كما طغت عند المتأخرين وإنّما قدموا بين يدي البلاغة ما يمهّد السبيل ويضع المعالم فيها ولقد رد عنه أحمد أمين بقوله: «**إنّ اقتراحه المقدّمة النفسية بالصورة التي قدّمها ليست بأفضل من المقدّمة المنطقية التي كانت بنتا شرعية لبيئتها؛ لأننا سنتقيد بقواعد علم النفس ونوغل في تقيد النقل الأدبي بنظرياته**»[1].

فالمقدمة النفسية وما فيها من قواعد علم النفس ستؤدي إلى تقيد البلاغة والنقد الأدبي وتخرجها عن هدفها الذي درست لأجله،كما أخرجتها البحوث المنطقية من قبل.

وقد رأى إمكانية التسوية بين البلاغة والفصاحة ودعا إلى الاقتصار على مصطلح البلاغة لدلالة على الفصاحة والبلاغة وأنّه لا حاجة إلى استعمال مصطلحين هما: الفصاحة والبلاغة بل ينبغي التسوية بينهما، وذلك لعدم اهتمام الجاحظ و أبو هلال العسكري بالتفريق بينهما فأورد قول العسكري: «**وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما لأنّ كل واحد منهما إنّما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له**».

وفي رأيه أنّ جل المتأخرين قد أجمعوا على إمكانية التسوية بين الكلمتين وهو يوافقهم فيما ذهبوا إليه[2] يقول: «**وظلت الكتب المتأخرة تشير إلى إمكان التسوية بين الكلمتين، وإليهما أميل الآن، تقليلا للأقسام، فنقول: بلاغة الكلمة، وبلاغة الكلام كما نستطيع أن نقول بلاغة الألفاظ، وبلاغة المعاني، أي جودة كل ذلك**(...) **ونوفر كلمة الفصاحة**»[3]. فكلمة الفصاحة عنده كلمة زائدة يمكن أن نختصر الحديث عنها بكلمة البلاغة، وبذلك تقلل الأقسام وتوفر الكلمات.

ويرد عليه محمد كريم الكواز فيقول: «**إنّ العبرة ليست بتقليل الأقسام وتوفير كلمة فنحذف الفصاحة ونشطب على مصطلح لم كيانه و أصوله، وأنّ الفصاحة تدخل ميدانا من فن القول لا تدخله البلاغة بعلومها الثلاثة، فتكمل ما عافته فتكونان أداة متكاملة لدراسة التعبير**»[4].

---

[1] أحمد أمين، النقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، ت. 1952م، ص195.

[2] ينظر، أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير و الأدب،(مرجع سابق)، ص ص193-194.

[3] أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب،(مرجع سابق) ، ص194.

[4] محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول،(مرجع سابق) ، ص ص86-87.

فالفصاحة علم له كيانه وأصوله، لذلك لا يمكن أن نحذف هذا المصطلح ونسويه بمصطلح الفصاحة لأن الفصاحة تدخل ميدان من فن القول لا تدخله البلاغة،وهما معا يكونان أداة متكاملة لدراسة التعبير.

وصناعة الأدب تحتاج إلى اختيار الألفاظ كما تختار حبات العقد، وتحتاج إلى نظم الكلمات المتشاكلة كما تنظم الحبات في سلك. وتحتاج إلى مراعاة تطبيق الكلام على مقتضى الحال، كما يراعى في وضع العقد إكليلا أو قلادة. وعليه قالو:أن الاختيار والنظم من الفصاحة، وأن المراعاة من البلاغة،ثم إنهم قالوا:الفصاحة تمام آلة البيان وقدموا لكتبهم مقدمات ترسم صورة نموذجية لثقافة الأديب وتبين مستلزمات اكتساب الفصاحة التي تعينه في فنه[1].

4- أحمد مطلوب:

يورد المؤلف معنى الفصاحة اللغوي في المعاجم، وورودها في القرآن الكريم، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم ثم في الأثار الأدبية والنقدية، وعند الأعلام من بلاغي العرب القدامى من مثل: الجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد وتعلب، وابن المعتمر، وقدامة، وأبي هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي والرازي، وابن الاثير، والسكالي، وابن مالك، والقزويني.

وعند المعاصرين من مثل الأستاذ أمين الخولي، ثم يدلي المؤلف برأيه ونجد أن رأيه ينتظم في دائرتين: الأولى الاقتصار على مصطلح البلاغة لدلالة على مصطلح البلاغة والفصاحة. يقول: «ونرى كما يرى أمين الخولي أنه لا حاجة إلى استعمال مصطلحين هما البلاغة والفصاحة بل ينبغي التسوية بينهما كما رأينا عند الجاحظ وعبد القاهر تقليلا للأقسام، فنقول: بلاغة الكلمة وبلاغة المعاني، أي جودة ذلك»[2] فمصطلح البلاغة عنده أشمل فهو شامل للبلاغة والفصاحة

ويرد على من قال أن وصف الألفاظ بالفصاحة لا يستلزم بلاغتها فيقول: «**إن من شروط البلاغة أن تكون الألفاظ كدا وكدا، ولا يعتبر الكلام بليغا ما لم تكن ألفاظه حسنة كمعانيه وبذلك لا يكون مجالا لقولهم إن**

[1] ينظر، محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول،(مرجع سابق) ،ص87.

[2] أحمد مطلوب،أساليب بلاغية،وكالة المطبوعات،الكويت،ط.1،ت.1980م،ص50.

فصاحة الألفاظ غير مستلزمة لبلاغتها، وإن صرح السكاكي بأنّ الفصاحة والبلاغة مما يكسو الكلام حلة التزين ويرقيه أعلى درجات التحسين»[1].

وهذا يعني أن من شروط فصاحة الألفاظ أن تكون بليغة،وليكون الكلام بليغا لابد أن تكون ألفاظه ومعانيه حسنة.

أما الدائرة الثانية فهي التي يفصل فيها بين البلاغة والفصاحة « **لكن الأيام تغير كثير من الأحكام وقد اتضح لنا أن استعمال مصطلح الفصاحة لدلالة على الدراسة المتصلة بالألفاظ أكثر دقة وشمولا وجمعا لما تفرق من هذه المباحث في كتب البلاغة والنقد(...) الفصاحة إحدى تلك المصطلحات التي يمكن أن تجمع في إطارها جميع البحوث اللفظية والصوتية، وهي دراسة واسعة ومجدية في دراسة الأدب ونقده»**[2].

فيتبن من خلال قوله أنه تخلى عن دعوة الخولي والمتمثلة في التسوية بين البلاغة والفصاحة،ويرى أن مصطلح الفصاحة أشمل وأدق في دراسة الألفاظ من مصطلح البلاغة،وأن هذا المصطلح يمكنه أن يجمع جميع البحوث الصوتية واللفظية.

فالمؤلف في نهاية حديثه يقف الموقف الذي وقفه أبو هلال العسكري، إذ ذكر أبو هلال رأيين في الفصاحة: الأول منهما يقضي بالتقاء البلاغة بالفصاحة والثاني أنهما مختلفان[3].

يقول محمد البركات: «**وفي ظني أن أبي هلال العسكري وأحمد مطلوب لم يذهبا هذا المذهب إلا احتراسا من أن تهمل بعض مواضيع الفصاحة التي تعارف عليها البلاغيون العرب»**[4]

وهذا يعني أن كل من أبو هلال العسكري، وأحمد مطلوب كانا يسعيان من وراء جعل الفصاحة تلتقي بالبلاغة من جهة، وتختلف عنها من جهة أخرى الحفاظ على بعض مواضيع الفصاحة التي عرفت عند البلاغين.

---

1 أحمد مطلوب،أساليب بلاغية ،(مرجع سابق)، ص50.

2 المرجع نفسه، ص 51.

3 ينظر، المرجع نفسه، ص51.

4 محمد البركات، فصول في البلاغة العربية، دار الفكر عمان،ط.1، ت.1983م، ص28.

5- عبد الله الطيب:

يرى عبد الله الطيب أن القدامى كانوا يستعملون لفظتي الفصاحة البلاغة بدل جرس يقول: «**هذا الحرف لم يكن يستعمله الأوائل استعمالا اصطلاحيا كما نفعل الآن، و إنّما كانوا يستعملون لفظتي البلاغة والفصاحة ويختلفون بعد في مدلوليهما والذي كان رجحا عندهم أن الفصاحة تتضمن اللفظ**».[1]

فمصطلح الجرس في استعمال المحدثين يقابل لفظتي الفصاحة والبلاغة عند القدمى،أي أن مدلولهما واحد.

ثم يورد أقوالا لأبي هلال العسكري يستدل بها على أن الفصاحة بالمعنى الاصطلاحي القديم كان يراد بها رنين الألفاظ وهذا قريب في رأيه من مراده من كلمة الجرس وأن الأوائل استعملوا لفظة الجزالة يعنون بها رنين اللفظ.

ومما يلحق بكلمتي الفصاحة والجزالة، مما كان يراد به نعت الألفاظ و رنينها حسن الرصف والفخامة وشدة الأسر، وصفاء الدباجة، والسلاسة، والفصاحة أدخلها جميعا في جوهر الاصطلاح.[2]

ومن العجيب حقا أن النقاد القدماء ظل عنهم أن يستعملوا كلمة الجرس استعمالا اصطلاحيا وهي أدل من كلمة الفصاحة، مع أنهم كانوا حرصين على البديع، وتسمية أنواعه والاصطلاح لها.

و لما كان المقصود من علم اللغة هو إظهار الإعجاز ودلائله، فلا يخفي أن نعت أي شيء من كتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنّه ذو جرس وذو دندنة وذو موسيقى، ومشتمل على صفة من صفات الغناء، يدخل في باب الزندقة، ولهذا فضل العلماء أن يستعملوا كلمة الفصاحة المشتقة من البيان والظهور على استعمال أي كلمة نشتم منها رائحة الترنم والنغم، لوصف الجانب اللفظي من أسلوب القرآن.

وفي حديثهم عن فصاحة الكلمة و الكلام. رأى أن علماء البلاغة على جناحيه الجرس باسم الفصاحة والسلاسة و الطلاوة وفي غير ذلك من الألفاظ. كما رأى العلماء القدامى أن الكلمة تكون فصيحة إذا سلمت من الغرابة وتنافر الحروف والكلام يكون فصيحا إذا خلى من تنافر الكلمات والتعقيد اللفظي والمعنوي، وضعف

[1] عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الأتاد الإسلامي، الكويت، ط.3، ت. 1986م،ج2، ص13.

[2] ينظر،المرجع نفسه، ص13.

التأليف بمعنى وجوب أن يتركب الكلام من كلمات فصيحة، فلابد للكلام الفصيح أن تكون كلماته فصيحة، ولا يترتب على فصاحة الكلمات كون الكلام فصيحا[1].

6- توفيق الفيل:

لقد تحدث توفيق الفيل عن مفهوم الفصاحة عند البلاغيين ومن بينهم أبوهلال العسكري وابن سنان الخفاجي، وعبد القاهر الجرجاني، وفي رأيه أنّ الخلاف حول مفهوم الفصاحة يرجع إلى اختلاف مناهج الدّراسة والخلاف حول اللفظ والمعنى، ورأى أنّ الفصاحة تكون في اللفظ المفرد كما تكون في التركيب مستشهدا بأقوال البلاغيين كابن سنان في حديثه عن فصاحة اللفظة وشروطها، ويرى أنّ فصاحة الكلمة تتوقف على عدم قرب المخارج في حروفها، قربا يجعل اللسان يتعثر في نطقها وإذا سلمت من هذا التنافر تطلب حسنها وقبولها انسجام الأصوات الصادرة عنها، وذلك هو السبب في زيادة الكلمة في الحسن على غيرها، كما أنه الأساس الذي يعود إليه استحسانهم للفظ دون آخر، ونجده يرفض الشرط الذي وضعه البلاغيون والنقاد في فصاحة الكلمة وهو بعدها عن الغرابة والوحشية، لأن اللفظ الذي يعدّ غريبا في رأيه يمكن أن يتهيأ له وسطا لغويا، يعفى على وحشيته ويزيل غرابته كما اعترض على الشرط الذي وضعه ابن سنان لفصاحة الكلمة بأن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة والذي أنكر على أبي الشيص استعماله كلمة المقراض في قوله: «**عيب الزمان تحيف المقراض**». لأنّ المقراض ليس من كلام العرب واستعماله لهذا اللفظ يخل بالفصاحة لكن توفيق الفيل يجيز هذا الاستعمال شريطة ألا يوجد لفظ عربي يؤدي الغرض المراد، ويقول أنّ من أقوال القدامى ما يدل على أنّ العربية أخذت من غيرها من اللغات ولهذا نجد في كتبهم لفظ دخيل ومعرّب، وكذلك قول البعض يورد شيء في هذه الألفاظ في القرآن الكريم[2]«**وعليه لا يكون أمامنا القول بأنّ اللفظ المعرّب يشترط فيه ليكون فصيحا أن يكون مماثلا للألفاظ العربية في أوزانها وأن يكون متجانسا مع الوسط اللغوي الذي ورد فيه**»[3].

فمن خلال القول يتبين أنه لا يمكن أن نطلق حكمنا على اللفظ المعرب،ونقول أنه فصيح إلا إذا استوفى الشروط لذلك،وجاء على أوزان الألفاظ العربية فكان بذالك مماثلا لها،مجانسا للجو اللغوي الكائن فيه.

---

[1] ينظر، عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، (مرجع سابق)، ص ص24-25.

[2] توفيق علي الفيل، الفصاحة مفهوما، حوليات كلية الأدب، جامعة الكويت، الرسالة السابعة والعشرين، الحولية السادسة، د. ط، ت. 1985م، ص ص15-26.

[3] المرجع نفسه، ص26.

وتناول فصاحة التركيب وقال أنّ البلاغيين كما اشترطوا الفصاحة للفظ المفرد اشترطوا ذلك في التركيب فتناول الشروط التي رأوا ضرورة تحققها في التركيب[1].

و يقول: « **إن فصاحة التركيب تتوقف في جانب منها في جريانها على قوانين اللغة في التركيب، فلا يفصل بين الأمور المتلازمة، ولا يقدم من الكلام ويؤخر بالقدر الذي يعي ويجهد الذهن في الحصول عليه**».[2]

فالفصاحة لا تقتصر على الألفاظ فحسب بل تشمل حتى التراكيب، هذه الأخيرة التي ينبغي لها أن تكون جارية على قوانين اللغة،فيرعى فيها عدم الفصل بين الأمور المتلازمة حتى لا يجهد الدهن في تحصيلها.

ويرى أنه إذا لم يتحقق البيان في التركيب لسوء في ترتيب ألفاظه، أو مخالفته لأصول مقررة في علم النحو عدوا هذا الكلام غير فصيح، وأنّ فصاحة العبارة استواء نسجها، فتكمل به وتختل بفقدانه وأنّ النقاد عابوا بعض الشعر بأنّه اشتمل على ألفاظ متفاوتة وكذلك تداخل الألفاظ يخل بفصاحة الكلام لأنه يبعد الشعر عن الجمال الفني[3].

ويقول: « **أنّ كل ما يؤدي إلى بلاغة الكلام يعد فصيحا أو لم يقولوا: أنّ كل كلام بليغ فصيح وليس العكس؟ وعلى هذا التوسع يمكن القول بأن الإصابة في التشبيه تساعد على فصاحة القول، ووقوع الاستعارة موقعها تساعد على فصاحة القول وحسن التكنية عن المعنى يؤدي إلى نفس الغاية المقصودة، ولم يكن له تأثير سلبي على المعنى، يزيد من جمال القول ويساعد على فصاحته**».[4]

وعليه فالفصاحة والبلاغة مرتبطان معا في علاقة ضمنية،مع العلم أن كل من الإصابة في التشبيه،ووقوع الاستعارة موقعها،مع حسن التكنية في المعنى أمور تخدم فصاحة القول هذا الأخير الذي يزيد التناسب مع جماله وفصاحته.

1 ينظر، توفيق علي الفيل، الفصاحة مفهوما، (مرجع سابق)، ص26.
2 المرجع نفسه، ص27.
3 ينظر، المرجع نفسه، ص ص30-32.
4 توفيق علي الفيل، الفصاحة مفهوما، حوليات كلية الأدب ، (مرجع سابق)، ص34.

فتوفيق الفيل ناقش شروط الفصاحة ورفض بعضها، وبين مدى إلتقائها مع مبادئ علم الجمال أما فيما يتعلق بفصاحة اللفظ فقد رأى أنّه يمكن الخروج عما أرساه القدماء من وجوب موافقة اللفظ لقوانين اللغة في الاشتقاق والتصريف والجموع وذلك من أجل تحقيق غايات جمالية.

المبحث الثالث: بين الفصاحة و البلاغة:

تعريف البلاغة:

أ: لغة: «بلغت المكان بلوغا: وصلت إليه و كذلك إذا شارفت عليه ،بلغ الغلام: أدرك و الإبلاغ الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلغ، والإبلاغ أيضا: الكفاية وبلّغت الرسالة وبلغ الفارس : إذا مدّ يده بعنان فرسه ليزيد في جريه، وشيء بالغ أي جيد، وقد بلغ في الجودة مبلغا، والبلاغة الفصاحة، وبلغ الرجل بالضم أي صار بليغا»[1].

ب: اصطلاحا:جاء في معجم المصطلحات العربية: هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال فلا بدّ فيها من التفكير من المعاني الصادقة القيمة القوية المبتكرة منسّقة حسنة الترتيب مع توخي الدّقة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليهم[2].

لقد اهتم النقاد والبلاغيون بالفصاحة والبلاغة ولقد شاع استعمالها في لغتهم وعرفهما العرب صنوين يستعملان معا أو تستعمل الكلمة مكان الأخرى، وكان النقاد والبلاغيون الأوائل لا يفرقون بينهما:

فالجاحظ في كتابه البيان والتبيين، يجعل الفصاحة والبلاغة والبيان مترادفات تدل على معنى واحد،[3] وأما أبو هلال العسكري فقد أورد فيها رأيين الأول: أنّ الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما لأنّ كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له والثاني: يقول فيه: إنّ الفصاحة مقصورة على الألفاظ والبلاغة مقصورة على المعاني[4].

كما ذهب عبد القاهر الجرجاني أنّ البلاغة والفصاحة وكل ما شاكلهما مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلّموا. فهي عنده شيء واحد[5]، وفي تعزيز التقاء الفصاحة بالبلاغة قال الرّازي: «**اعلم أنّ الذين يجعلون الفصاحة للفظ فالأظهر أنّهم يجعلونها صفة للألفاظ لأجل دلالتها**

---

1 الجوهري ، الصحاح، تحق، أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط. 4، ت.1990م،مج.4 ،ص 1316.

2 مجدي وهبة كامل المهندس، معجم المصطلحات البلاغية في اللغة والأدب،(مرجع سابق)،ص79.

3 ينظر، الجاحظ، البيان والتبين،(مصدر سابق)، ص40.

4 ينظر، أبو هلال العسكري، الصناعتين،(مصر سابق)، ص ص6،7.

5 ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،(مصدر سابق)، ص36.

الوضعية على مسمياتها، ويحتمل احتمالا بعيدا أن يجعلوها صفة للألفاظ لا باعتبار دلالتها على مسمياتها»[1].

أما ابن سنان والمتأخرين من النقاد والبلاغيين فقد وجدناهم يفرقون بين الفصاحة والبلاغة فجعلوا الفصاحة علما قائما بذاته له أقسامه وشروطه فابن سنان يقول عنهما: «**إن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في الكلمة الواحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ»**[2].

ولقد جعل السكاكي لكل منهما مجاله الخاص فقال في البلاغة: بلوغ المتكلم (...) والبلاغة عنده إنما تشمل علمي المعاني والبيان فقط ثم قال إنّ الفصاحة مما يكسو الكلام حالة التزيّن والتحسين وبذلك جعل الفصاحة تعود إلى حسن الكلام أما البلاغة فتعود إلى علمي المعاني والبيان وما يندرج تحتهما[3].

وقال عنهما ابن الأثير: ويسمى الكلام بليغا لأنّه بلغ الأوصاف اللفظية والمعنويّة، والبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة فيقال كل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغ[4].

أما الخطيب القزويني فهو آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين فجمع بحوث العلماء الذين سبقوه وجعل البحث عن الفصاحة مقدمة لعلوم البلاغة فأصبح للفصاحة مضمونها وجعلها صفة للكلمة المفردة والكلام والمتكلم فقال: للناس في تفسير الفصاحة و البلاغة أقوال مختلفة، لم أجد –فيما بلغني منها– ما يصلح لتعريفها به ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم؛

فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين، فنقول: كل واحد ة منهما تقع صفة لمعنيين أحدهما الكلام كما في قولك: قصيدة فصيحة أو بليغة والثاني المتكلم كما في قولك شاعر فصيح أو بليغ، و الفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد فيقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة. وعلى هذا فإن البلاغة كل والفصاحة جزئه، وعليه أيضا: الفصاحة من صفات المفرد كما هي من صفات المركب[5].

---

1 الفخر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،(مصدر سابق)، ص277.

2 ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة،(مصدر سابق)، ص53.

3 ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم،(مصدر سابق)، ص225.

4 ينظر،ابن الأثير، المثل السائر،(مصدر سابق)، ص ص65-70.

5 ينظر، الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة،(مصدر سابق)، ص10.

أما المحدثون فقد انقسموا فريقين: فريق يقول بالتقاء الفصاحة مع البلاغة وأنّه لا فرق بينهما، وفريق آخر فصل بين كل منهما وجدهما علمان مختلفان يستقل كل واحد منهما عن الآخر.

فمن بين الذين قالوا بإمكانية التسوية بين الفصاحة والبلاغة نجد أمين الخولي، الذي اقتصر على مصطلح البلاغة للدلالة على الفصاحة والبلاغة وأنّه لاحاجة إلى استعمال مصطلحين هما الفصاحة و البلاغة بل ينبغي التسوية بينهما كما فعل العلماء الأوائل كالجاحظ والعسكري والجرجاني وغيرهما وذلك من أجل تقليل الأقسام لأنّ البلاغة شاملة فيمكن أن نقول بلاغة الكلمة وبلاغة الكلام كما نستطيع أن نقول بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني فنوفر بذلك كلمة الفصاحة[1].

وذهب محمد حسن عبد الله إلى أنّ البلاغة في اللغة هي الانتهاء والوصول وفي الاصطلاح البلاغة هي الفصاحة فهو يرى أنّ البلاغة والفصاحة شيء واحد[2].

في حين نجد أنّ أحمد مطلوب يقف الموقف الذي وقفه أبو هلال العسكري فقد كان له رأيين في الفصاحة، الأولى منهما يقضي بالتقاء الفصاحة مع البلاغة «**إنّه لا حاجة إلى استعمال مصطلحين هما الفصاحة والبلاغة بل ينبغي التسوية بينهما**». والثاني: يرى فيه أنّهما مختلفان فيقول: (...) فقد اتضح لنا أنّ استعمال مصطلح الفصاحة للدلالة على الدراسات المتصلة بالألفاظ أكثر دقّة وشمولا وجمعا لما تفرق من هذه المباحث في كتب البلاغة و النّقد[3].

أما الفريق الثاني الذين قالوا بالفصل بين الفصاحة والبلاغة فنجد منهم إبراهيم اللبان، الذي يرى أنه كان من الخير أن نفصل بين مبدئي البلاغة و الفصاحة فإنّهما وإن كانا يلتقيان ويتعاونان على أداء مهمة واحدة فبينهما من الفروق ما يسوغ كل أحدهما عن الآخر فالفصاحة تختص بالتعبير عن المعنى الأساسي أما البلاغة فتختلف عنها في موضوعها ولغتها فهي تعبر عن الألوان والأصباغ لا على المعنى الأساسي، فلا بدّ أن ندرس كل واحدة منهما على حدا، ونستعمل كل منهما في نطاقهما الخاص ونحقق بإحداهما الوضوح وبأخرى الدقّة[4].

---

1 ينظر، أمين الخولي، مناهج التجديد،(مرجع سابق)، ص193.

2 ينظر، محمد حسن عبد الله، مقدمة في النقد الأدبي، مطبعة الحرية، بيروت، ط.1، ت1975م، ص61.

3 ينظر، أحمد مطلوب، أساليب بلاغية،(مرجع سابق)، ص50.

4 ينظر، إبراهيم اللبان، نظرة نقدية في مبادئ بلاغية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأموية، د.ط، ت.1963م، ص171.

أما فضل حسن عباس فرأى أنّ للفصاحة والبلاغة أصلين مختلفين في اللغة فالفصاحة وضعت للخلوص من الشوائب و البلاغة للوصول والانتهاء وفي ضوء استعمال القرآن الكريم وجد أنّ الفصاحة استندت إلى اللسان في قوله تعالى: ﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً** ﴾ الآية34 من سورة القصص وأما البلاغة فغايتها النفوس يقول تعالى: ﴿ **وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**﴾ الآية63 من سورة النساء. و عليه فيجب التفريق بين الفصاحة و البلاغة[1].

ويذهب توفيق الفيل إلى أنّ الفصاحة داخلة في البلاغة وليست البلاغة بداخلة في الفصاحة لأنّ كل ما يؤدي إلى بلاغة الكلام يعدّ فصيحا فكل كلام بليغ فصيح ولا عكس فالتنافر مثلا يدخل الدرس البلاغي بعامة والفصاحة بخاصة ولكن التشبيه والاستعارة لا تدخل في الفصاحة[2].

والأمر نفسه نجده عند صاحبي كتاب الكافي في علوم البلاغة العربية حيث يقران أنّ العلاقة بين البلاغة والفصاحة هي علاقة عموم بخصوص إذ كل كلام بليغ فصيح لا محالة وليس كل كلام فصيح بليغ[3].

وعليه يمكن القول أنّ البلاغيين قديما وحديثا انقسموا فريقين في حديثهم عن البلاغة والفصاحة؛ فهناك من سوى بين المصطلحين فجعلهما مصطلحا واحدا، وهناك من دعا إلى ضرورة الفصل بينهما على اعتبار أنّ كل منهما له مجاله الخاص فالفصاحة تختص بالألفاظ و البلاغة تختص بالألفاظ والمعاني إن كانت هناك علاقة بينهما فهي علاقة العام بالخاص.

---

1 ينظر، فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، اليرموق، ط.4، ت.1997م، ص20.

2 ينظر، توفيق الفيل، الفصاحة مفهومها،(مرجع سابق)، ص34.

3 ينظر، عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية،(مرجع سابق)، ص42.

خلاصة:

ومجمل القول في هذا الفصل:

ـ أن اللغويين المحدثين في حديثهم عن الفصاحة انقسموا فريقين: فريق تابع اللغويين القدمى في آرائهم حول الفصاحة، وفريق آخر شكك في هذه الآراء وتراضى عليها.

ـ أما البلاغيين فمنهم من تابع القدامى وشرح آرائهم في الفصاحة وعلق عليها وهناك من خرج عنهم وخالفهم.

ـ وأما عن حديثهم عن الفصاحة والبلاغة فيمكن القول أن هناك من سوى بين المصطلحين فجعلها مصطلحا واحدا، وهناك من فصل بينهما على اعتبار أن لكل منهما مجاله الخاص.

الفصل الثالث

الفصاحة في

الاستعمالات المعاصرة

تعد اللغة منهجا للتفكير وثمرة من ثماره، فعن طريقها يقوم الإنسان بعمليات التفكير من التفسير و الموازنة وإدراك العلاقات، واستخراج النتائج، و التعميمات، ثم يوظف محصلة تلك العمليات السابقة في تحديد المعاني وحمل الأفكار.

وتعد اللغة العربية مقوما أساسيا من مقومات الأمة العربية و عامل من عوامل وحدتها وتواصلها، فهي اللغة التي يتحدث بها أبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج كما أنها أداة لتسجيل التراث الحضاري من الفنون والآداب و العلوم عبر الأجيال المتعاقبة.[1]

و الملاحظ أن اللغة العربية الآن – في الوطن العربي على اتساعه – لها عدة من المستويات المتداخلة والمتشابكة، وعلى الرغم من هذا التداخل و التشابك بين هذه المستويات يمكننا – نظريا على الأقل أن نلتمس شيئا من الخصوصيات كل منها وبعض الفوارق المميزة فيما بينها، لنبين كل مستوى على حدا، وقبل ذلك تجدر الإشارة إلى أن العلماء اختلوا في تقسيمهم اللغة إلى مستويات؛ فهناك من حصرها في المستوى الفصيح و المستوى العامي، وهناك من أظاف مستوى ثالث وهو مستوى يتوسط المستويين (اللغة الثالثة):

1.العربية الفصيحة: وهي ممثلة في كتاب الله العزيز و حديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وما لفّ لفهمهما من أثار أدبية وعلمية و ثقافية، وهي لغة استطاعت - بحكم طبيعتها وظروفها الخاصة – أن تعبر مزالق الزمن وأن تزيح من طريقها كل أو جل ما يقابلها من صعوبات أو ما يعترضها من مشكلات حياتية، حتى استقرت محافظة على بنيتها و أساسياتها المميزة لها [2]

وعن حال العربية الفصحى في المشهد المعاصر فنجدها تجرى على حد قول بعضهم على أنحاء:

---

[1] ينظر، إسماعيل الغمرى، التعليم باللغة العربية، مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط.1، ت. 2009م، ص 12.

[2] ينظر، كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة د.ط، د.ت، ص ص 32 ، 33.

- عربية فصحى في المصحف المرتل،وهي عربية ائتلافية فقد أنزل القرآن على سبعة أحرف.

- عربية فصيحة بالفعل إذا استوفى القارئ بما ستدخل من نظامها شروط الصواب كما في إنشاد الشعر الفصيح و الغناء به، وكما في الدراما التاريخية و الدراما التلفزيونية المترجمة (المدبلجة) والتقارير الوثائقية والنشرات الإخبارية وأفلام الكرتون...وغيرها.

- وعربية فصيحة بالقوة وهي عربية البحوث و المؤلفات و الدوريات و الصحف؛ إذ هي مكتوبة غير مشكولة في المعتاد الجاري، وتكون مفتوحة لمستويات متفاوتة في الأداء فقد تكون فصيحة بالفعل ولكنها في السائد عربية ملحونة مشوبة بأخطاء الضبط و الإعراب، وهي عربية القارئ العربي على العموم.

- عربية فصيحة محكية يحاولها و يلتزمها متخصصون ومثقفون و لكنهم قليلون.

- عربية شبه فصيحة تجرى بها ألسنة مراسلي بعض الفضائيات في سياق نشرات الأخبار؛ إذ اجتهدوا في تطويرها لتنسجم مع سياق نشرات و مقتضيات الخطاب الموجه للمشاهدين.[1]

2. اللغة العامية: «وهي اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية،و يجرى بها الحديث اليومي،لا تخضع للقوانين لأنها تلقائية،متغيرة تبعا للأجيال و الظروف المحيطة بهم ».[2]

كما تعرف بأنها« **مستوى تعبيري يتخاطب به العامة في الحياة اليومية، غير خاضعة لقواعد النحو والصرف تتصف بالتلقائية و الإختزال، أنها عربية فقدت بعض الخصائص الموجودة في الإعراب، لكنها ليست لغة في حد ذاتها**».[3]

ومن هذين التعريفين يمكننا القول أن اللغة العامية تمتاز باليسر و التحرر من قيود الإعراب و لأجل هذا يميل الناس إلى هذه اللغة.

و العامية في هذا العصر مستويات:

---

[1] ينظر،نهاد الموسى، الفصاحة و العامية بين تجليات الكائن وتصورات الممكن،المجلس الأعلى للغة العربية، الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس، الجزائر، ت.2008م، ص ص 49، 50.

[2] نفوس زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية و أثارها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، مصر، ط.1،ت. 1964م، ص 03.

[3] نهاد الموسى،الفصحى والعامية،بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، ص 50.

أ. لهجات عامية محكية متداولة في سياقاتها المحلية بل ممتدة في فضاء الإعلام و الأفلام العربية و الشعر الشعبي وهي اللهجات المكتسبة بالسليقة.

ب. لهجات عامية مكتوبة في حواشي بعض القنوات الفضائية و الإعلانات التجارية، وهي تخرق العرف الإجتماعي؛ إذ تنزل العامي المحكي المنطوق منزل الفصيح المكتوب.

ج. المكتوبة في الإعلانات لغاية الإبلاغ تسقط روابط الجملة؛ إذ تعول في خطابها على قرائن السياق وتستثمرها لغايات الاقتصاد في حيز الإعلان.

د. المختزلة المكتوبة بالحرف اللاتيني يتداولها الشباب في رسائل الهواتف المحمولة و البريد الالكتروني وهي عامية مشوبة بعبارات أجنبية.

هـ. عربية عامية مهجنة بالهندية أو الأردية في مشرق الخليج العربي.

و. عربية عامية تخالطها مفردات وعبارات بالفرنسية في المغرب العربي.[1]

وعليه نستخلص أن العامية ليست لغة مشتركة بين فئات واسعة من الناس مثلما هو الحال بالنسبة للفصحى، والعامية كثيرة الأنواع تختلف اختلافا واضحا من قطر إلى قطر، كما تختلف باختلاف الوسائل التي تستعملها.

ووجود العامية بجانب الفصحى مع ما بينهما من اختلاف ظاهرة طبيعية في كل اللغات، و في كل زمان ومكان.[2] فهذان المستويان من التعبير كانا موجودان في استعمال الفصحاء السليقين والفرق الوحيد الذي يميز بين المستويين في هذا العصر وعصر السليقين، أن كلا المستويين كانا فصيحا مرضيا عنه إذ لم يكن إلاّ وجها في أداء العربية لا يختلف أحدهما عن الآخر من حيث البنية الصرفية، خلافا لما نحن عليه اليوم إذ قد أغنت لغة التخاطب العفوي عن كلا الوجهين: الإجلالي و الإسترسالي الفصيحين، بخروجهما عن أصول العربية الإعرابية و التصريفية والتركيبية في أغلب أحوالها.[3]

---

[1] ينظر، نهاد الموسى، الفصاحة العامية بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، (مرجع سابق) ص 51.

[2] ينظر، كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم (مرجع سابق) ص 51.

[3] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنسر، الجزائر، د.ط، ت. 2007م، ج.1 ص 70.

فوجود العاميات ظاهرة طبيعية في كل اللغات، لكن ليس طبيعيا ولا منطقيا أن تحسب هذه العاميات اللسن القومية التي تعبر عن الأقوام بعامة و التي تحدد هوياتهم وتفصح عن شخصياتهم، فهذه العاميات كثيرة وذات أنماط من الكلام مختلفة، وهي قابلة بمرور الزمن للتنوع و التغير، حتى تصبح في النهاية أعدادا لا حصر لها من اللهجات و الرطانات، فلو اتخذت هذه العاميات بلهجاتها لسنا قومية، وقعنا في مأزق التفرقة و التشتت فكريا، وثقافيا وسياسيا.[1]

3.اللغة الثالثة (اللغة الوسطى): « وهو ذلك المستوى اللغوي المنطوق الذي يستمد عناصره ومكوناته الأساسية الأولى من الفصحى بمختلف درجاتها و نماذجها، وتكيف فيه عناصر أخرى من العامية بمختلف أنماطها ودرجاتها التي لا تبتعد عن أصول الفصحى و مقاييسها وقاعدتها الأساسية لتتكون أو تتطور من خلاله ومن خلال توفيقه وجمعه بين هذه العناصر، لغة عربية محكية مشتركة، وبسيطة، عفوية، أصلية، قريبة، مستأنسة، من خاصة الجمهور وعامته...»[2]

ومنه فالعربية الوسطى هي مستوى لغوي ثالث يقع بين بين، بين الفصحى و العامية ولهجتها، وهي لغة عصرية، محكمة، بسيطة، ويسيرة يجيدها الخاصة و العامة دون مشقة أو عقبة في فهمها واستيعابها.

و لكن لا يمكن لهذه اللغة أن تعوض عن الفصحى الأصيلة، ولا تكون بديلا عنها، وإنما تبقى متطلعة صاعدة دائما نحوها مهيأة لانتشارها وزيادة نفوذها، وتعزيز مكانتها، وعاملة في الوقت نفسه على تقريب الشق بينها و بين العامية.[3]

---

[1] ينظر، كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، (مرجع سابق)، ص ص 51 ، 52.

[2] أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط.1، ت. 2005م، ص ص 98، 99.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص 99.

المبحث الأول: استعمال الفصاحة في المؤسسات التعليمية:

اللغة العربية لغة أصيلة، ثرية بمفرداتها، وتراكيبها، رافقت الحضارة وتطورها، وأسهمت بقدر كبير في تنمية الشعور القومي لكل مسلم على مدى التاريخ الإنساني؛ ولذلك ينبغي أن يتاح للغة العربية أن تكون لغة التعليم في مختلف أطواره في جميع الأقطار العربية من أجل تحقيق الأهداف التربوية، و الإجتماعية، و الثقافية والعلمية

و التي تنشد الأمة تحقيقها في أبنائها – حيث نادت المؤتمرات و الندوات بدعوة وزارات التربية و التعليم في الوطن العربي إلى استعمال اللغة العربية الفصحى باستمرار في جميع مستويات التعليم و العناية بدراسة مشكلاتها المتصلة بالتربية و التعليم، على اعتبار أن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية المفروضة في كل الهيئات و المؤسسات الرسمية و غير الرسمية، ولكن هذه اللغة الفصيحة لا توظف – للأسف الشديد – في الاستعمال إلاّ قليلا.

« **فليس وضع اللغة العربية في دور العلم بأحسن حظا منه في أي بيئة أخرى عامة أو خاصة، كالهيئات والمؤسسات و المنزل والشارع، بل هو أسوء حظ، بمعيار أن دور التعليم هي المعلم و المرشد و الموجه إلى اكتساب المعرفة وتقديم الخبرة لإعداد رجال المستقبل...**»[1]

فعلى الرغم من أن دور التعليم هي القدوة و المثل الأعلى الذي يرجى منه أن يصلح حال اللغة العربية و يرتقي إلاّ أنها صارت سببا في تدنيها و انحطاطها.

وهذا الوضع في دور التعليم ليس بمستغرب في إطار ما نرى ونشاهد من تلوث لغوي، وهذا التلوث دفعت به و أثارته في جو دور التعليم عوامل كثيرة معقدة متشابكة منها ما يتعلق بالمادة اللغوية، ومنها ما يتعلق بالمعلم و المتعلم و أخرى تتعلق بمناهج وطرق التعليم.[2]

وكل هذه العوامل وأخرى أثرت سلبا على اللغة العربية الفصحى في هذا العصر ما جعلها تتراجع عن المستوى المعهود.

---

[1] كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، (مرجع سابق)، ص 271.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 171.

1.المادة و المنهاج:

لقد أدت النظرة الدونية إلى مادة اللغة العربية و كذا مناهج وطرق تدريسها إلى الانحراف عن المستوى اللغوي الفصيح في عصرنا الحالي فلقد صنفوها مادة واحدة من حيث وضعها في جدول الدراسة والساعات المخصصة لها و الدرجات الممنوحة لها في الامتحان فساووها بذلك مع مواد أخرى أو ربما ينزلون بها إلى درجات أدنى ويعدلونها في الأهمية باللغات الأجنبية.

و الملاحظ أن الساعات المخصصة لها قليلة، وغالبا ما تقع هذه الساعات في أوقات غير ملائمة للتحصيل والاستفادة فكثيرا ما تقع في أخر اليوم الدراسي أو في أوقات يكون فيها الطلاب مشغولين بأنشطة أخرى.

وعن الدرجات أو العلامات الممنوحة للغة العربية في الامتحان فهي درجات هزيلة بمعيار الأهمية وعلاقتها بدرجات المواد الأخرى ما أدى إلى عزوف الطلاب عن دروس العربية، وانصرافهم انصرافا ملحوظا إلى مواد أخرى.[1]

في حين كان ينبغي مراعاة البنية الزمنية للتعليم باختيار أوقات مناسبة لتدريس العربية بحيث يرى علماء النفس أن أفضل توقيت لتعليمها هي الفترة الصباحية كما يجب مراعاة المدة المخصصة لها، ولابد من إعادة النظر في الدرجة الممنوحة للغة العربية وجعلها تتناسب مع أهميتها ومكانتها و من الصعوبات التي تقف عائقا في وجه التدريس باللغة العربية الفصحى ظهور دعوات تنادي بفصل تدريس القواعد عن الأدب ودراسة الأدب مفصول عن اللغة: فمعرفة المتكلم للغة التي ينطق بها هي معرفة علمية غير نظرية.

أما علم النحو كعلم قائم بذاته هو نتيجة لأعمال الفكر في بنية اللغة وأوضاعها، وليس معنى هذا أن المتكلم لا يعرف النحو؛ إنما المعرفتان مختلفتان فالمتكلم وإن كان لا يعرف النحو إلاّ أن معرفته له كمتعلم أي كفاعل محكم للكلام هي نوع من المهارات لا من نوع المعرفة العلمية، و إذا كان الأمر كذلك فلابد من إيجاد الوسائل التعليمية لاكتساب المتعلم هذه المهارة أما اكتسابه معرفة نظرية فهذا يأتي بعد اكتساب الملكة الأساسية. ولقد توصل علماء النفس و التربية و اللسانيات إلى إثبات بعض الحقائق المتعلقة بتحصيل الملكة وذلك مثل: سهولة اكتساب اللفظ الجديد أو الغريب على المتعلم إذا جاء مكتفيا بألفاظ مأنوسة، وكثرة القرائن اللفظية

[1] ينظر، كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، (مرجع سابق)، ص 274.

والحالية التي تدل على معناه – في نص أو تمرين – مع الأصل الذي يتفرع منه حتى يستنبط المتعلم بنفسه الإطار أو المنظومة النحوية الصرفية البلاغية التي يندرج فيها، وهذا يعني أن الملكة لا يمكن أن تكتسب باستظهار القواعد وحفظ النصوص لأنها قبل كل شيء قدرة على إجراء القواعد النحوية والبلاغية والقدرة على التصرف في الكلام بكيفية غير شعورية، و التصرف في الكلام لا يقتصر على الجانب النحوي التصرفي بل لا يمكن أن يحصل أحكام لهذا الجانب إن لم يجري التمرس في إطار التعبير العادي و التخاطب الحقيقي.[1]

وعليه لا يمكن الفصل بين فروع اللغة العربية لأنها تمثل معا بنية متكاملة؛ فلا يمكن أن ندرس القواعد النحوية و الصرفية بمعزل عن الأدب أو البلاغة أو غير ذلك.

وهناك أيضا من يرى أن تدريس القواعد العربية كما ورثناها من أيام مدرستي البصرة و الكوفة يعد حاجزا يقف في وجه انتشار الفصحى في الوطن العربي، فمازالت تستعمل الأمثلة نفسها التي كانوا يستخدمونها، وجلها من الشعر الجاهلي والأدب القديم، فمن يتصفح كتب النحو العربي يتولد لديه شعور وكأن الأمر يتعلق بلغة ميتة ولكثرة ما وضع من تعليقات وشروح في علم النحو صار علم مستقل بذاته، ولم يعد وسيلة لضبط استعمال اللغة.[2]

أما عن أساليب وضع المواد العربية متصلة أو منفصلة، ومناهج تقديمها إلى الدارسين:

يقوم بوضع هذه المواد و تأليف الكتب لها أناس ذو اتجاهات و أذواق مختلفة، التنسيق فيما يضعون من مواد عربية بينهم معدوم، في حين أن أساليب التعليم الصحيحة و التربية السليمة توجب النظر إلى اللغة العربية على أنها كيان ذو خصوصية له فروع تستمد وجودها منه، ولها وجه من التبعية ووجه من الاستقلال هذه النظرة المتكاملة إلى الأصل فاتت المسئولين وواضعي المواد المختلفة بدليل ما نرى من اختلاف واضح بين مواد اللغة في الكم و الكيف والمستوى وأسلوب كتابة المؤلفات وتحليل المادة أو شرحها.[3]كما أن هذه الكتب تعاني من جفاف المادة وسوء المنهج و الافتقار لعناصر التشويق والحيوية و الفعالية[4]، وهناك خطر كبير يهدد كيان اللغة العربية ألا

---

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (المرجع سابق)، ص ص 166 – 168.

[2] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 179.

[3] ينظر، كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، (مرجع سابق)، ص 274.

[4] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 179.

وهو: تطبيق النظريات الغربية الحديثة (التي قد تكون موضع جدل في البلدان العربية نفسها حتى الآن) على اللغة العربية تطبيقا عشوائيا لا لشيء إلاّ لأنها حديثة، و أنها أتتنا من تلك البلدان بل يجب أن نطلع على كل ما جدّ وحدث من النظريات و المناهج – ولا نتهاون في ذلك إطلاقا – فإنه من الواجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الانتقادات البناءة التي تعرضت لها، و الاعتراضات و التحفظات التي يمكن أن يبديها إزاءها العالم النزيه غير المتعصب على أساس متين يعتمد المعرفة الواسعة العميقة للتراث العلمي العربي و التراث العلمي اللغوي لتحاشي التقليد الأعمى و التطبيق الخاطئ.[1]

أما عن طريق تقديم المواد متصلة أو منفصلة في فصول الدراسة فلقد وجدنا أن المسئولين والمختصين التربويين أمام مبدأين:

أ – المبدأ التربوي المقرر الذي ينص على وجوب الانتقال من المعلوم إلى المجهول في عملية التعليم بالعامة ويضمن هذا المبدأ أن ينطلق المتعلم من أرض صلبة تمكنه من الترقي، و التدرج في رحلته التعليمية، كما يحميه من الوقوع في متاهات و أفاق مجهولة.

ب – المبدأ التقليدي العام أو المقرر بين الأمم الذي جرى – ومازال يجري على أن تكون اللغة التي تخلو أو تكاد تخلو من الطابع المحلي أو البيئي فمن الواضح أن الأخذ بالمبدأ الأول وحده يقتضي أن تكون اللغة المختارة هي العامية؛ لأنها هي الصيغة المألوفة للتلاميذ في هذه المرحلة، كما أن الانحياز نحو المبدأ الثاني وحده يعني أن تكون تلك اللغة هي العربية الفصحى؛ لأنها لغة القوم.

إن الأخذ بأي اتجاه وحده على إطلاقه دون تحديد تقف في طريقه عقبات، وتقابل تطبيقه مشكلات قومية وتربوية وعلمية فالبدء بالعامية في المرحلة الأولى من التعليم، على الرغم من اتساقه الظاهري مع مبدأ وجوب الانطلاق من المعلوم إلى المجهول يوقع في مشكلات، فمعلوم أن لكل بلد عربي لهجته الخاصة به، و بالتالي فاللهجات العامية في البلاد العربية يختلف بعضها عن بعض و استخدامها في التعليم من شأنه أن يوسع دائرة هذا الاختلاف، ويؤدي إلى انعزال الفصحى و إبعادها عن مسرح الحياة ولهذا فلا يمكن أن تكون اللهجات العامية الصيغة اللغوية المختارة للتعليم في المراحل الأولى إذا أخذت على إطلاقها.

كما أن العامية لم تحظ حتى الآن بتراث أدبي مقبول على المستوى العربي كله.

---

[1] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علم اللسان، موفم للنسر، الجزائر، د.ط، ت. 2007م، ص 147.

و الانحياز إلى الفصحى و التمسك بفرضها في المرحلة الأولى من التعليم اتجاه قد يقابل هو الأخر بمجموعة من الاعتراضات منها.

- أن يقال مثلا: إن الفصحى في جملتها غريبة أو مجهولة الحدود بالنسبة إلى تلاميذ هذه المرحلة المبكرة.
- الفصحى في الأغلب الأعم لغة كتابة، وهيهات أن تأخذ اللغة المأخذ الصحيح من المادة المكتوبة لأنها جامدة ساكنة.[1]

وعليه يتضح لنا أنه لا عامية وحدها ولا فصحى وحدها بصالحة للتدريس بها في المراحل الأولى من التعليم.

إن استعمال اللغة هو استعمال شفهي قبل أن يكون كتابة وتحريرا فالكلام المنطوق هو الأصل، أما لغة التحرير ففرع عليه، فالمنطوق أو المسموع هو الذي يرجع إليه المتعلم للغة الحية أولا وأخرا ولا يقتصر على ما يقرأه من النصوص، فالاستعمال الطبيعي للغة يعتمد قبل كل شيء على المشافهة و إذا اكتفى بالجانب الكتابي فقط فإن الطالب سيضطر بعد تخرجه إلى مخاطبة الناس بلغة مصطنعة، و إذا عم ذلك فسيطعن في اللغة التي يتحد استعمالها اللفظي و الكتابي في جميع مستوياتها، وهذا يكاد ينطبق على العربية التي تتعلمها الناشئة في المدارس على الرغم من وجود طرق حوارية في تحصيل الملكة وهذا لسوء فهم الأستاذة و المربين بصفة عامة لجوهر اللغة، وينحصر في: وجود أكثر من مستوى في الاستعمال وهما نوعان: التعبير لترتيلي أو لإجلالي، و التعبير الإسترسالي فالأول تقتضيه حرمة المقام وهي حال الخطاب وفيها تظهر عناية المتكلم الشديدة وما يختاره من ألفاظ و تراكيب كخطاب الخطيب و خطاب المذيع في الإذاعة و التلفزة و محاضرات الأساتذة، أما التعبير الإسترسالي (الفصيح لا العامي) فهو الذي تقتضيه مواضع الأنس كخطاب الأسرة ففي المنزل و الأصدقاء، وهذا التعبير العفوي غير المتكلف قد وجد بالفعل في المخاطبات بين فصحاء العرب، وهذا المستوى من التعبير الفصيح غير المتكلف فتدخل العربية بذلك في جميع الميادين النابضة بالحياة ووجود هذين المستويين من التعبير أمر طبيعي، ولكن إذا اختلافا اختلافًا شديدا وصار الثاني لهجة عامية فيجب ألا يترك لها السيادة في التعبير الإسترسالي لأن الفصحى يمكن أن تقوم بهذا الدور الحيوي بشرط أن ترجع إلى المستوى الذي استخفه العرب في الماضي.[2]

---

[1] ينظر، كمال بشر،دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ص 219 – 222.

[2] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علم اللسان، (مرجع سابق)، ص 176 – 178.

ومنه نستنتج أن تعليم اللغة العربية للناشئة في المدارس لابد أن يكون بالمشافهة قبل أن يكون بالكتابة على اعتبار أن المنطوق أسبق من المكتوب، كما أن الفصحى يمكن أن تؤدي الدور الإسترسالي الذي يجعله البعض حكرا على العامية، فتكون لغة بسيطة سهلة واضحة الألفاظ و التراكيب صالحة لمختلفة المجالات خاصة التعليم.

2.المعلم و المتعلم:

للمعلم و المتعلم دور هام في النهوض باللغة العربية، لكن الملاحظ أن كل منهما لا يؤدي هذا الدور كما ينبغي، وهذا راجع لعدة أسباب، فعلى الرغم من أن المعلم هو عماد العملية ورائدها الذي يرود تلاميذته والمجتمع إلى كسب المعرفة من خلال اللغة القومية إلاّ أنه قد يكون سببا في تراجع مستوى اللغة الفصحى وهذا بدوره راجع لعدة أسباب منها:

أن بعضهم ألقى بنفسه إلى هذا الموقع – مختارا أحيانا ومضطرا أحيانا أخرى – حتى يظفر بشيء يشغله أو يملئ فراغه و يؤتيه بما يسد حاجته المتواضعة و يقيم أوده، كما أن بعضهم شابتهم بعض وجوه النقص و القصور في آليات كفايتهم وإعدادهم الفني بحيث أصبح الكثيرون منهم لا يحسنون صنعا، ولا يملكون كفايات الريادة الصحيحة في التوصيل و الزحف نحو الأهداف القومية المرسومة وكل هذا يعود سلبا على المنظومة التربوية بصفة عامة و اللغة العربية الفصحى بصفة خاصة؛ [1] فضعف مستوى المعلم يؤدي بالضرورة إلى ضعف مستوى المتعلم « **فهناك طائفتان من المعلمين، طائفة نالت قدرا مناسبا من موارد التخصص ولكنها حرمت من موارد التربية وفنون تواصل المادة إلى المتلقين، و طائفة حظيت بقدر معقول كاف من موارد التربية وفنونها ولكنها لم تؤهل التأهيل اللازم في موارد التخصص، وبذلك تخلفت عن نظيرتها في التسلح بأساسيات مهنتها، مع استيعاب المادة و السيطرة عليها**» [2] فهناك من المعلمين من اقتحم سلك التعليم وهو مزود بمجموعة من الكفاءات ولكنه يفتقر إلى الفنية و الحنكة في التعامل مع المتعلمين.

[1] ينظر، كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، (مرجع سابق)، ص 283 – 288.

[2] كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، (مرجع سابق)، ص 288.

و بما أن المعلم يمثل المشكلة الحقيقية في تعليم اللغة. فلا خير في مادة أو منهج أو أي شيء أخر ما لم يكن المعلم على درجة عالية من الكفاية التي ترشحه للقيام بهذا الدور فلذلك ينبغي أن تتحقق فيه الصفات الآتية:

- أن يكون على درجة عالية من التخصص في اللغة العربية الفصيحة، وأن يكون ذو معرفة مناسبة بثقافة الدارسين ، فذلك من شأنه تقريب الشقة و التفاعل بين الجانبين.
- الالتزام باللغة العربية الفصيحة في الدرس و الشرح و الخطاب الموجه إلى طلابه فالكلام بالعاميات أو الخلط في الأداء بين المستويين الفصيح و العامي أمر غير مقبول وليس بدي جدوى في تحقيق الأهداف المرسومة عن تعليم العربية.
- الأفضل اختيار المعلم ممن لهم معرفة بعلم اللغة التطبيقي، لانتظامه المبادئ و الأسس التي تعين المعلم على التوفيق في انجاز مهمته.
- و أهم من ذلك تفعيل المهارات اللازمة لكتساب اللغة مهما كان نوعها وكانت طبيعتها في كل حين وآن، والاستماع و القراءة و الكتابة و الحديث، مهارات أربعة متشابكة متكاملة، ينبغي أخذها بالحسبان، بتعويد الدارسين عليها من أول لحظة، مع اختلاف متدرج في الكم و الكيف حسب المرحلة الدراسية.[1]
- كما لابد من ضرورة إجراء اختبارات شفهية لمعلمي اللغة العربية قبل تخرجهم من الجامعة. على أن ينص على هذا في لوائح الأقسام المتخصصة خاصة في العلوم اللغوية و النحوية و تحليل النصوص ، ثم يتكرر إجراء هذه الاختبارات قبل التعين مباشرة أمام لجنة من كبار أساتذة التخصص، حتى يستطيعوا الحكم على صلاحية المعلم، لأن يعطي عطاء متميز في مادته أم لا.
- إعداد دوريات تدريبية تقوم بها المراكز النوعية لتعليم اللغة العربية،وتلقى فيها محاضرات عامة لكبار أساتذة اللغة و النحو و بعض أعضاء مجمع اللغة العربية، مما يسهم بدوره في ربط المعلم بحركة الثقافة العربية، ويمكنه من متابعة انجازات المجتمع و الأقسام في هذا الصدد.

[1] ينظر، كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، (مرجع سابق)، ص ص 315 ، 316.

- محاولة اصطناع ضرب من المزاوجة بين الفكر الجامعي وفكر رجال التعليم في المراحل التعليمية الأولى، من خلال عرض مناهج المدارس على لجان علمية جامعية، يكون من حقها تقويم المقررات الدراسية، و إعادة النظر في أساليب تقديم المادة للطالب من خلال دراسات نصية دقيقة ومهمة.[1]

كل هذه الحلول وأخرى من أجل أن يؤدي المعلم دوره في العملية التعليمية، وبالتالي المساهمة في رقي اللغة العربية الفصحى و المحافظة على مكانتها.

و المتعلم هو الأخر قد يساهم في إضعاف اللغة العربية و تدني مستواها اللغوي الفصيح، وهذا راجع إلى عدة أسباب أهمها:

- **لغة الأسرة**: فضعف اللغة مبدأه البيت، فالأسرة هي الخلية الأولى التي كان عليها المحافظة على سلامة اللغة العربية ولا نقول الحديث باللغة العربية لأن هذا محال،وعلى الأسرة واجب تنمية الوعي بأهمية لغة القرآن فاكتساب اللغة ملازمة لعملية التنشئة الإجتماعية.
- الدفع ببعض الطلبة إلى الكليات أو الأقسام المعنية بالعربية اعتمادا على مجموع علامتهم في الثانوية دون مراعاة ميولاتهم ورغباتهم الشخصية.
- قلة الإطلاع على الأشعار و الآداب القديمة التي تعد من مصادر اللغة العربية الفصحى.
- من المتعلمين من تنعدم لديهم الرغبة في الإصغاء وحسن الاستماع في أثناء الحصص العربية.
- وقوع الطلبة في الأخطاء اللغوية كالأخطاء النحوية، بسبب عدم إلمامهم بالقواعد النحوية نظرا لاستعصائها عليهم كالخلط بين علامتي المثنى، و الخلط بين علامات الأسماء الستة.
- الأخطاء الصرفية وهي الأخطاء التي تطال بنية الكلمة، كعدم امتثال القاعدة القياسية في صياغة اسم الفاعل و اسم المفعول، وكذلك جمع الأسماء جمعا لا تجيزه القواعد الصرفية فتارة يضمون المكسور وتارة يكسرون الممدود.

[1] ينظر، عبد الله التطاوي، اللغة و المتغير الثقافي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1،2005 ص ص 47 ، 48.

- الأخطاء الإملائية وهي الأكثر انتشارا بين الطلبة كالخلط بين همزة القطع، وكذلك إثبات الألف وحذفها مع ما الاستفهامية فكتبوا: فيما و القاعدة حذف " ألف " ما الاستفهامية حال كونها متصلة بحرف الجر إضافة إلى بعض الأخطاء الدلالية و التركيبية.[1]

وحتى يتدارك المتعلم هذه الأخطاء وغيرها ويساهم في رفع مستوى اللغة العربية الفصحى لابد له من سماعها سليمة صافية، بدأ من أسرته ومن معلمه في المدرسة ثم من الممثل و المتحدث في المذياع و التلفاز، ومن المثقفين و الخطباء على منابرهم ومن المسئولين وأصحاب القرار في حواراتهم وخطاباتهم التي يتوجهون بها إلى جماهيرهم،[2] إضافة إلى كسر الحاجز النفسي اتجاه اللغة العربية عن طريق الحوار الوطني في المسألة اللغوية، والاهتمام بحفظ القرآن الكريم و الشعر القديم منذ الصغر[3]، فإذا حدث ذلك أمكن أن تترسخ لدى هذا المتعلم لغته على سجيتها الصحيحة و تثبت في ذهنه وتألفها نفسه، وتتمرن عليها سليقته فتجري على لسانه وتنساب سهلة سلسة من غير تكلف يجسدها على قدما يسمعها حية متجسدة فيما حوله ويهتم للتمكن منها على قدر ما يرى من العناية بها و التقدير لها منطوقة ومكتوبة.[4]

---

[1] ينظر، صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية، دار هومة، الجزائر، د.ط، ت. 2009م، ص ص 192 – 199.

[2] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 187.

[3] ينظر، صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية، ص 23.

[4] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، ص 189.

المبحث الثاني: استعمالات الفصاحة في وسائل الإعلام:

لقد أصبح لوسائل الإعلام و الإتصال في عصرنا الحاضر دورا مهما وكبيرا في القيادة و التوجيه والتأثير، حيث أضحى الخطاب الجماهيري من خلالها يطوي المسافات، ويخترق الحجب و الحواجز، ولذلك أمكن أن تسهم هذه الوسائل إسهاما كبيرا، ليس في التوعية والتوجيه ونقل الأخبار و المعارف فحسب، وإنما أيضا في تهذيب لغة الجمهور، وفي الارتقاء بهذه اللغة إلى مستواها الفصيح الأصيل، فالأداة الرئيسية التي تقوم وتعتمد عليها هذه الوسائل في أداء مهامها هي اللغة. وهذا ما يعزز قدرتها على التأثير في اللغة،فهي تنطلق في أداء مهامها من اللغة متأثرة بها وبظروفها وناقلة لها، مؤثرة فيها سلبا أو إيجابا.[1]

الإعلام: « **هو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير، وروحها وميولها، واتجاهاتها في نفس الوقت فهو أولا وقبل كل شيء يعتبر من أهم مؤسسات التشكل الثقافي**»[2]. فالإعلام تعبير موضوعي علمي منظم وليس ذاتي – من جانب الإعلامي سواء كان صحافيا أو إذاعيا أو مشتغلا بالسينما و التلفاز – عن عقلية الجماهير و انشغالاتهم ومتطلباتهم يرى المجمعون أن لوسائل الإعلام المقروءة و المسموعة و المرئية أثرها الكبير في اللغة لأنها تقتحم البيوت و الأسواق و تأثر بقوة على الناس أفرادا وجماعات وشعوب وتفرض نفسها على الأسماع، ومع أهمية هذه اللغة فهناك شبه إجماع بأن هناك قرارا سياسيا أو إداريا يوجه اعتماد العربية الفصحى لغة الإعلام ويحظر استعمال العامية حظرًا تاما.[3]

1- الدور السلبي لوسائل الإعلام :

إلا أن الملاحظ على لغة الإعلام في عصرنا أنها خلو أو تكاد تخلو من فصاحة (الفصحى) كما حددها علمائنا القدامى بدليل أن الكثير من البرامج الإعلامية لم تعد تحترم العربية البتة، ولم توليها مكانتها اللائقة فانتشرت العامية و الدخيل بصورة مخيفة وهجرت اللغة العربية الفصيحة في برامج عدة وانتشرت الأخطاء اللغوية بكثرة؛ فلقد طغت العامية في وسائل الإعلام المختلفة، وفي أحاديث الصحافيين الذين لا يجدون حرجا في توظيف العامية على حساب الفصحى، فطغت العامية على البرامج الثقافية التي يكثر فيها ترويج الأغاني العامية و

---

[1] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 203.

[2] سالم مبارك الفلق، موسوعة شرطيوة، اللغة العربية تحديات ومواجهة،(مرجع سابق)، ص 18.

[3] ينظر، صالح بلعيد، لغة الصحافة، دار الأمل، تيزي وزو، ط.2، ت.2001م، ص 29.

أصبحت البرامج المتخصصة بالعربية الفصحى تتقلص يوما بعد يوم، و الصحافيون يولون الأهمية للمعلومة وكيفية إيصالها بأيسر السبل إلى المشاهد، أو المستمع أو القارئ ولو كان على حساب الفصحى. وفي هذا تقول مها قنوت: « **إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقا وتستجيب لندائك فلا مفر من التضحية برونق الفصحى ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التي تحيا بها القومية وتعبر عن انفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها**».

فالمراد من قولها أن إبلاغ الرسالة الإعلامية إلى الجمهور يكون بالتخلي عن الفصحى واستعمال العامية بدلا منها فهي على حد قولها لغة قومية تعبر عن انفعالات و أحاسيس الجماهير. وهذا حسب رأينا قول خاطئ لأن العامية قوميتها محدودة لأنها تخص إقليم جغرافي بعينه، على عكس اللغة العربية الفصحى التي تضم كل البلدان العربية وحتى الإسلامية لأنها لغة الدين والعادات والأدب المشتركة.

فيتحجج الإعلاميون الدين يلجؤون إلى توظيف العامية بدل الفصحى بأنه لابد أن يخاطب الناس بما يفهمون، و الناس الذين توجه إليهم برامج الإذاعة و التلفزيون طبقات في العلم و الثقافية. ولكن التجربة الإعلامية أثبتت أن الأكثرية من عامة الناس يفهمونا الأخبار و المسلسلات الدينية و التاريخية و الأفلام المدبلجة وكلها تقدم باللغة العربية الفصحى أما الدخيل فتجده يطغى ويغزو بقوة الخطابات الإعلامية وذلك في الصحف والإذاعة و التلفزة، ونرى أن بعض الصحافيين يلجؤون من حين إلى آخر إلى استعمال عبارات وكلمات دخيلة وأخرى موغلة في العامية، لا مبرر إلى استعمالها فيما يبدو سوى تلك القوة الإحائية التي يمتاز بها هذا النوع من الكلمات و العبارات، فالصحافيون في لجوئهم إلى اللفظ الدخيل في رسالتهم الإعلامية إنما يقصدون الكلمات الشائعة و الموظفة بشكل كبير في المجتمع فيهجرون بذلك الفصحى.[1]

كما أن استخدام الكلمات الأجنبية أدى إلى ظهور مقاطع صوتية لم تكن مألوفة في العربية كمقطع طويل منتهي بحرف لين مثل هاي، باي فليس في عربيتنا مقاطع طويلة مغلقة إلاّ في نهاية الكلمات وعندما كان يحدث مقطع طويل مغلق في درج الكلام قصرت حركته في مثل: لم يقل ولم يسر، و المقطع الطويل تتجنب العربية استعماله.

[1] ينظر، صالح بلعيد، لغة الصحافة، (مرجع سابق)، ص ص 109 ، 110.

فالملاحظ في بعض القراءات القرآنية وفي بعض اللهجات القديمة أنها تتجنب مثل هذه المقاطع مثل «**ضالين**»: « **طألين**» وبعامة فإن المقطع الطويل المغلق سواء منفرد الإغلاق أو مزدوج فليس محبذا في العربية، فكيف إذا كان الإغلاق بحرف اللين، وكان بالإمكان استخدام كلمات فصيحة لكنها شائعة غير متقعرة فإنها مفهومة وتصل إلى القراء بيسر.[1]

كما أن من أسباب ضعف الأسلوب وركاكة التعبير لجوء الصحافيين إلى الترجمة الحرفية السريعة وهم غالبا من المحررين الضعفاء في اللغة العربية و الأقوياء في اللغات الأجنبية، ولعل السبب في اعتمادهم على الترجمة الفورية يرجع إلى طبيعة العمل الصحفي الذي يتميز بالسرعة، فتقذف الجرائد إلى الأسواق كل يوم كلمات وتراكيب ركيكة ويتلقاها قراء محدود الثقافة، فتلحق الضرر باللغة العربية و متعلميها، حتى صارت هذه الوسائل في بعض الأحيان أداة هدم للغة العربية الفصيحة.[2]

ونرى تدهور اللغة العربية الفصحى في الترجمات التي تكتب على شاشات التلفزة للبرامج و الأفلام الأجنبية فهي لا تخلو من الأخطاء اللغوية الموزعة على القواعد، و الإملاء، وركاكة العبارة وقربها من العامية في أحيان كثيرة. مثل: أن يذهبون، ورأيت أبوك وهاذا ولم يأتي.[3]

إن عدم اهتمام وسائل الإعلام (المسموعة والمرئية و المقروءة) باللغة العربية الفصحى واستعمال العامية والداخيل أدى إلى وقوع الصحافيين في أخطاء لغوية عدة قد تكون معجمية أو صرفية أو نحوية.

---

[1] ينظر، وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، ط.1، ت. 2011م، ص 173.

[2] ينظر، صالح بلعيد، لغة الصحافة، (مرجع سابق)، ص 111.

[3] ينظر، وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، ص 176.

الأخطاء الصرفية:

ونعني بذلك تلك الأخطاء التي سببها الرئيسي الجهل بالنطق الصحيح للكلمة أو اعتماد منهجية خاطئة في الصياغة الصرفية ومن ذلك الفعل غَرَبَ فتقول: غَربت الشمس بفتح الراء ونجذهم يقول غرُبة الشمسُ بضم الراء و الصواب بفتح الراء وذليل ذلك قوله تعالى ﴿ **وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غَرَبَت تقرضهم ذات الشمال**﴾ الكهف 17.

وكذلك قولهم في الفعل " لقَي " بفتح القاف مع المد و الصحيح كسر القاف و فتح الياء و " يَكِد " بكسر الكاف و الصحيح ضمها.

و مثلما يقع الخطأ في الفعل يحدث الشيء نفسه في المصدر، ومن ذلك أنهم يقولون: " خِطة" بكسر الحاء ويعنون المنهج أو الأمر والصحيح: " خُطة" بضم الحاء. إذ تنص قواعد اللغة على أن الصيغة بكسر الحاء هي للدلالة المادية ومعناها ما يخطه الرجل لنفسه على حين أنها بالضم للدلالة المجردة أي دلالتها على المنهج ،ومن هذا القبيل كذلك قول بعضهم: عَرَضْ الحائط و الصواب عرُض الحائط :لأن العرض بالفتح: الطول من الأبعاد وأما " العَرُض" بالضم فبمعنى الوسط ويبدو أن سبب كثرة الخطأ في هذا النوع من الأمثلة هو قلة السماع أو قلة المحفوظ، ولعل من مظاهر الخلل من الناحية الصرفية إسناد الأفعال إلى الضمائر؛ إذ كثيرا ما يقع الخطأ في صياغة الفعل عند إسناده إلى الضمائر كما في قولهم " لَقَوْا" بفتح القاف و تسكين الواو، و الصحيح ضم القاف مع المد وقد يقع العكس فيقولون بضم العين مع المد و الصحيح فتحها مع التسكين.[1]

ومن هذا القبيل أيضا ما يقع باللبس في تركهم أفعلا وغيرها مما يجمع عليه وادٍ ويأتون به جمعا على فعلان فيقولون « **يهيمون في وديان الخيال**» وهذا خطأ و الصواب «**أودية**»[2]، وفي جمع " بائس " يقولون بؤساء كأنهم يقيسونه على عقلاء وجهلاء جمع عاقل وجاهل ولكن مجيء فعلاء جمع لفاعل مما يسمع ولا يقاس عليه، ولكنه يطرد جمعا لفعيل بمعنى الفاعل مما دل على سجية بؤساء جمع بئيس بمعنى شجاع[3] .

---

[1] ينظر، صالح بلعيد، لغة الصحافة، (مرجع سابق)، ص ص 165، 166.

[2] ينظر، أسعد داغر، تذكرة الكاتب، (مرجع سابق)، ص 65.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص 68.

و عليه فإن هذه الأخطاء الصرفية و أخرى مما يضعف بنية الكلمة العربية وتراكيبها ويبعدها عن حيز الفصاحة.

الأخطاء النحوية:

ويدخل بعضها في النظم أي قواعد تركيب الجملة، و البعض الأخر في الإعراب أي تغير حركات أواخر الكلمات على وفق قواعد مخصوصة،[1] ومن ذلك استخدام صيغ غير مناسبة للسياق كاستخدامهم صيغ الحال أو الاستقبال لدلالة على الماضي حيث يقابل القارئ عناوين كثيرة من نحو: أسرار خطيرة تذيعها النيابة أمس فالفعل نذيع مضارع لا يناسب السياق الدال على الماضي، وهناك أخطاء تتعلق بالتعدية و اللزوم ومن أمثلة ذلك قول الكثير بث في الأمر و الصواب بث الأمر، لأن الفعل بث يتعدى بنفسه، وقد يتحول الفعل المتعدي إلى مفعول واحد إلى فعل متعدي إلى مفعولين فيقولون: أرجوك المساعدة و الصواب: أرجو منك المساعدة لأن الفعل رجى لا يتعدى إلاّ مفعول به واحد فإذا تعدى إلى مفعول أخر فيكون بواسطة حروف الجر[2]، ويستعملون أغدق متعديا بمعنى سكب أو أفاض وهو في اللغة لازم لا متعدي.[3]

وقد يجر المنصوب في لغة الإعلام كقولهم: جاء لوحده و الصواب: جاء وحده. لأن كلمة وحده تأتي دائما منصوبة على الحالية وملازمة للإضافة ومن الأخطاء التي يقع فيها الصحفيون منعهم من الصرف ما هو منصرف أو العكس، فمن المعروف أن الكلمات الممنوعة من الصرف محددة بضوابط دقيقة، لكن العديد من الكتاب الصحافيين قد يلجؤون إلى منع الصرف لما حقه الصرف، مثل قولهم: أصداء، أبناء بمنع الصرف متوهمين – على ضرب من القياس الخاطئ – أن هذه الصيغ وأمثالها تعامل معاملة نحو: شعراء و عمداء في الصرف.

و قد يأتي العكس فيصرفون شعراء وما شابه ذلك غير عارفين ضوابط الممنوع من الصرف.

---

[1] ينظر، وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، (مرجع سابق)، ص 135.

[2] ينظر، صالح بلعيد، لغة الفصاحة، (مرجع سابق)، ص ص 166 ، 167.

[3] ينظر، أسعد داغر، تذكرة كاتب، (مرجع سابق)، ص 106.

الأخطاء الدلالية:

أما الأخطاء الدلالية التي تحدث على مستوى اللفظ فكثيرا ما يقع فيه الصحفيون فيستخدمون ألفاظ في غير ما وضعت له، ودون وجود لعلاقة مناسبة بين اللفظ والاستعمال[1] ومن قولهم « **الرؤيا غير واضحة**»و الصواب الرؤية بالتاء المربوطة؛ إذ الرؤيا بالقصر لا تكون إلاّ في المنام ومعناها الحلم[2].

وكثيرا ما نصادف في لغة الإعلام لفظة " نوها " بمعنى أشار ولا وجه لها بهذا المعني لأن الفعل نوها به: أشاد به و أظهره، ونوها الشيء: رفعه، ونوها بفلان أو باسمه: شهره، فالفرق واضح بين الدلالة الأصلية للكلمة و الاستخدام العشوائي لها.[3]

وعليه فالأخطاء النحوية و الصرفية و الدلالية تخل بنظام اللغة؛ فأي ممارسة لغوية لا تلتزم بالقواعد الموروثة تعد مساسا بنظامها النحوي و الصرفي و الدلالي وخطئاً ينبغي تقويمه، فالأساس أو المصدر إنما هو اللغة الصحيحة السليمة« **الفصحى** ».

2- الدور الايجابي لوسائل الإعلام:

فكما تساهم وسائل الإعلام في اضمحلال اللغة العربية الفصحى وتراجع مستواها الفصيح وخروجها عن الأصل الموروث، يمكن لها أن تساهم في رقي وتطور اللغة وتجديدها وتزويدها بتراكيب ومصطلحات جديدة لتغنيها، و تثريها. وهذا ما يتجلى في لغة الإعلام، أو كما تسمى اللغة العربية المعاصرة. فاللغة العربية حاليا ليست هي نفسها لغة القرن الأول هجري فالعربية الآن لغة علمية وتعبر عن روح العصر و متطلباته فلذلك « فلغة الإعلام هي لغة تصاغ بكيفيات خاصة في تراكيبها و أساليبها وفي أفكارها ومعانيها فهي عادية تستقي قوالبها و أنماطها من قوالب اللغة العربية المعهودة فهي لغة عربية بسيطة معاصرة»[4] ورغم أنها لم ترتقي إلى لغة التراث

---

[1] ينظر، صالح بلعيد، لغة الصحافة، (مرجع سابق)، ص 168.

[2] ينظر، إبراهيم اليازجي، لغة الجرائد، (مرجع سابق)، ص 87.

[3] ينظر، صالح بلعيد، لغة الصحافة، ص 169.

[4] ينظر صالح بلعيد،دفاعا عن وسائل الإعلام،المجلس الأعلى للغة العربية، دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، 15 يوليو 2002، الجزائر، 2004م، ص 108.

والأدب العالية الصافية في كل مستوياتها أو كل ما كتب بها أو فيها، ولكنها في الوقت نفسه لم تنحدر في معظم أحوالها ومراحلها إلى العامية المتشبعة أو المحلية الضيقة، لم يلتزم دائما فيها بكل ما يرتبط باللغة العربية الفصحى الصارمة وثوابتها ومقاييسها الموروثة، و لكنها لم تتمرد عليها ولم تعلن خروجها عن قوانينها ونظمها الأساسية الجوهرية، ورغم أنها تخرق بعض قواعد اللغة الفصيحة بين حين وآخر وتتجاوز متن اللغة وأصولها الصرفية وتنبو عن ذوقها وأنساقها الجمالية أحيانا، ولكنها تبقى في معظم أحوالها ومستوياتها متماشية مع الأصل[1].

و الملاحظ أن هذه اللغة المعاصرة تتجلى في لغة الصحافة لأنّ الصحافة تعتمد في التعبير لغة فصيحة في معظم أبوابها، وهي لغة تتميز بالبساطة و السهولة و النماء، وهي سائدة تماما في تحرير الخبر وإجراء التحقيق الصحفي وفي كتابة التحليل و التعليق في الأعمدة، كما أن الصحف و المجلات تولي عناية متزايدة بالفصحى الأدبية و النقد الأدبي الذي تزدهر به الفصحى و ترتقي كلما تكاثرت المجلات المتخصصة التي أصبحت ميدانا لفرسان الكلمة العربية من كتاب و أدباء.[2]

« وأسلوب لغة الصحافة هو أسلوب سهل يمكن أن يفهمه المتعلم المتوسط و المثقف والاختصاصي، فهو يرضي تقريبا جميع الأذواق»[3]

فأسلوب لغة الصحافة هو بمثابة همزة وصل يجب اختيارها بدقة مع مراعاة مستوياتهم الثقافية والاجتماعية وكل هذا قصد إحداث الأثر المطلوب.

ولهذه اللغة خصائصها ومميزاتها من حيث تراكيبها و أسلوبها و أفكارها وجوانب أخرى متصلة بها فجملها جمل بسيطة، سريعة الفهم و الاستيعاب و التي تؤدن بقدر من الإيقاع المقطعي و التركيب الذي عليه مناط الكلام كما تفضل لغة الإعلام الجمل القصيرة الخفيفة على اللسان البعيدة عن الإسفاف و الإطالة، و الجمل السائدة فيها هي الجمل الخبرية لأنها أصلح أنواع الجمل وأنسبها لنقل المعلومات[4] وتتميز أيضا بتوظيفها للرمز، والذي هو جزء من الموقف الاتصالي العام بأبعاده النفسية و الإجتماعية والثقافية، ويكون امتدادا للإحاء

---

[1] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 202.

[2] ينظر، صالح بلعيد، ضعف اللغة في الجامعات الجزائرية، (مرجع سابق)، ص ص 84 ، 85.

[3] محمد رشاد الحمزاوي، الفصاحة فصاحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط.2، ت. 1986م، ص 40.

[4] ينظر، صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية، ص 76.

والتلميح، اعتمادها الوضوح المتكئ على البساطة و التكرار وكذلك استعمال أفعال المطاوعة و البناء للمجهول، وحسن تخير الأوصاف.[1]

وبهذه المميزات وأخرى ساهمت الصحافة في تطوير اللغة وفصاحتها من خلال إحيائها للغة العربية من حيث أساليبها وتدعيم قواعدها، وذلك بإحيائها كثيرا من اللهجة الفصحى كما ساهمت في إنشاء أسس فصاحة جديدة قد تختلف عن الفصاحة القديمة ولكنها ليست مخالفة لها، فهي لم تخرج عن القواعد المألوفة بل تميزت بلغة فصيحة لكنها بسيطة[2].

وهذا لا ينطبق على الصحافة فقط بل يتجلى أيضا في الوسائل المرئية و المسموعة فهناك عدد من المحطات والقنوات العربية التي تحاول أن تعتمد العربية الفصحى في معظم برامجها وخاصة في قراءة نشرات الأخبار إعداد الأحاديث العلمية و الأدبية و الفكرية في غالب الأحيان وكذلك في التمثيليات و المسلسلات التاريخية .

و القومية و المسلسلات المدبلجة، كما تعتمد الفصحى في أفلام الكرتون[3]، وكذلك في بعض القنوات الدينية نلاحظ التزام مقدمي البرامج بالفصحى.[4]

فالإعلام من هذا الجانب يسعى إلى تدقيق وإرساء قواعد لغة إعلامية تثقيفية فصيحة عامة تقترب من الفصحى وهذا من خلال تقديم برامج التوعية والتثقيف و التعليم باللغة العربية المبسطة التي تبتعد عن التكلف .

و التعسف و العشوائية في اختيار عناصرها اللفظية، و تراكيبها، و صياغاتها، وملائمتها لما تعبر عنه من أفكار ومعلومات.

---

[1] ينظر، صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة، الجزائر، د.ط، ت. 2003م، ص 133.

[2] ينظر محمد رشاد، الحمزاوي، الفصاحة فصاحات، (مرجع سابق)، ص ص 41 ، 42.

[3] ينظر، صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية، (مرجع سابق)، ص 85.

[4] ينظر، وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، (مرجع سابق)، ص 147.

3-مستويات اللغة العربية في رسائل الإعلام العربي:

من خلال ما سبق ذكره عن استعمال الفصحى في وسائل الإعلام وأثر هذه الوسائل على اللغة العربية تبين أن هناك عدة مستويات للغة العربية في وسائل الإعلام العربي ولا سيما في المسموع منها و المرئي.

- **مستوى الفصحى العربية السليمة:**

وتكثر في الصحف و المجلات وفي نشرات الأخبار و مواجيزها و في بعض المسلسلات التاريخية والأشرطة الوثائقية و في البرامج الدينية، وهي تظهر على لسان المجددين ومحبي اللغة العربية و الغيورين عليها من أجل الحفاظ عليها و على موروثها الديني والأدبي.

- **مستوى الفصحى الناقصة:**

وتطلق على لغة المثقفين و الصالونات، وتسمى باللغة الثالثة أو العربية الوسطى وتعتمد تسكين أواخر الكلمات، وتسقط الإعراب في درج الكلام وكذا تغليب الجملة الاسمية على الجملة الفعلية وتعدية الأفعال، وتتابع الإضافات[1] و اتسمت هذه اللغة بالتلقائية في معظم ممارستها ومحاولات التسيير و التبسيط فيها، وقد استطاعت بهذه التلقائية أن تكون وسط بين السلفية المتعالية عن الواقع، المتمثلة في لغة التراث، وبين العامية، اليومية العاجزة عن ملاحقة الفكر وملامسة الإبداع، فغدت اللغة الرئيسة الوريثة للفصحى في أغلب الوسائل.[2]

- **مستوى العامية العامة:**

وهي التكلم بلهجة عامية مشتركة بين جميع أفراد بلد ما أو جميع المشتركين في منطقة جغرافية إقليمية على نطاق أوسع في الوطن العربي، وتستعمل في كثير من القنوات التلفزيونية، و الإذاعية وبخاصة في المسلسلات الاجتماعية والحصص الترفيهية، وفي بعض الحوارات.

---

[1] ينظر، وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، (مرجع سابق)، ص ص 143 ، 144.

[2] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 221.

- **مستوى العامية المحلية:**

وهي فرع من العامية العامة لبلد عربي معين؛ فلكل بلد لهجته خاصة به وكل لهجة تندرج تحتها مجموعة لهجات تختلف فيما بينها، ويتميز هذا المستوى من الكلام بانحصاره في دائرة لهجة منطقة معينة، تستعمل بكثرة في المحطات الإذاعية الجهوية بحجة الاقتراب من عامة الشعب حتى في بيوتهم.

- **مستوى الفصاحة المشوبة بالأجنبية:**

كأن تمزج بين الفصحى السليمة وبعض الكلمات الأجنبية، وهذا المستوى اللغوي موجود في وسائل الإعلام العربية التي تتبنى الانجليزية أو الفرنسية لغة ثانية أخرى رسمية في الدولة، ويكثر استخدام هدا المستوى من اللغة في الإذاعات الموجهة إلى الشباب والتي تكثر من بث الموسيقى ووسائل اللهو والترف.

- **مستوى العامية المشوبة بالأجنبية:**

وهي أكثر المستويات إسفاف وهبوط باللغة العربية إلى الهاوية[1]، حيث يتم فيها المزج بين العامية ولغة أجنبية ففقدت العامية بذلك طابعها الصوتي، و الإيقاعي كما تفقد الكثير من توازنها، و انسجامها مع اللغة الأصلية وتبتعد عنها وعن نظامها الصوتي و الصرفي وعن موروثها، فتنحرف عن طبيعتها الأصلية وتصبح أشبه بالتهريج اللغوي الذي يكاد بفقدها انتمائها.[2]

[1] ينظر، وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، (مرجع سابق)، ص 145.

[2] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص ص 244 ، 245.

المبحث الثالث: الفصاحة في التخاطب اليومي:

بعد أن تحدثنا عن استعمال الفصاحة في دور التعليم، ووسائل الإعلام وخلصنا إلى أن استعمالها في هذين المجالين، يتسم بالضعف و تدني المستوى وانحطاطه، وخروجه واختلافه عن المستوى الموروث سنتطرق الآن للحديث عن استعمالها في التعامل و التخاطب اليومي.

إن اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمن بعيد في الحاجات اليومية، وفي داخل المنازل، وفي وقت الاسترخاء والعفوية، ليست هي العربية الفصحى بل اللهجات العامية التي هي نتيجة لتطور الفصحى المنطوق بها ولهجاتها.[1]

فأصبح لدينا مستويان لغويان: الفصحى وهي النموذج اللغوي الذي نتعلمه، و العامية وهي النموذج اللغوي الذي نكتسبه اكتسابا، ويستحوذ على البرنامج الأول في الدماغ لدى الناطقين بالعربية، وجرى العرف بأن للفصحى مواقع ووظائف هي مواقع المدون، و الثقافي، و الرسمي، وللعامية مواقع ووظائف هي مواقع الشفهي واليومي.[2]

ولعل الوضع الذي عليه الاستعمال الحالي للغة العربية راجع إلى مخلفات الستة قرون من الانحطاط الفكري، ومن ثم إلى سبب هام جدا وهو تغلب الأمية على الأكثرية من أفراد الأمة، وهو يساعد أيما مساعدة على إبعاد لغة الثقافة من لغة التخاطب، فأصبحت العامية هي لغة التخاطب اليومي وحرمت الفصحى من أداء دورها الاستعمالي، فاللغة هي وضع واستعمال، وكل من يلجأ إلى استعمال الفصحى –كما تعلمها في المدرسة – وكما يعبر بها المذيع و الخطيب في بيته مع دويه وفي غير ظروف التعليم و التلقين مع أصدقائه في مكان عمله أو غيره وأي واحد في الشارع فيتعرض بذلك للاستهزاء و السخرية.[3]

وعلى الرغم من أن العامية كما يقال تشكل امتدادا للعربية الفصحى بدليل وجود طائفة من الألفاظ العامية التي تجري في البيت، و السوق، والحقل. لها علاقة بالفصحى فوجد البعض منها مسجلا في المعجميات اللغوية الفصيحة ومنها:

---

[1] ينظر، عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (مرجع سابق)، ص 68.

[2] ينظر، نهاد الموسى،الفصحى وعاميتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن (مرجع سابق)، ص 45.

[3] ينظر، عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص ص 74 ، 75.

- العيل: الولد.
- الشجيع: الشجاع.
- السبوع: الأسبوع.
- الريحة: الرائحة.
- زوق: زين.

ومن الألفاظ القاموسية التي استعملتها العامية، و لعلها كانت تونسية أو تنوسي بعضها لولا استعمال أصحاب المهن و الصناعات لها:

- الزّفر أو الظفر: درجة من السلم و العامية من البنائين يلفظونه بالزاي، وهي عندهم حجر ناتئ في البناء مستطيل كالدرجة أو العتبة تلقى عليه العمد أو البلاط.

وفي جمهرة نسب قريش أن عامر بن عبد الله انهدمت أظفار من درجة فبات تلك الليلة في الدار.

- المدماك: الصف من البناء و العامية تقول على الحقيقية (مدماك مدماك) كما قال الأصمعي على المجاز:

" ألا يا ناقض الميثاق مدمكًا فمدمكا "

ومن الألفاظ المخفية أو المهذبة:

- الرز: من الأرز.
- الوز من الإوز.[1]
- حلفه: هي نبات ينبت في الصحراء وهي بالمدلول نفسه في العربية الفصحى حيث يعرفها الأزهري يقوله: « **الحلفاء نبات حمله قصب النشاب...**».
- حمص: وهو بالمعنى نفسه في العربية الفصحى.
- اشعير: وفي الفصحى الشعير.
- العرعار: وهو في العامية عبارة عن دواء يؤخد من الشجرة وله المعنى نفسه في الفصحى، يقول ابن منظور « **العرعار شجر يقال له الساسم... ويقال هو شجر جبلي**».

[1] ينظر،نهاد الموسى،الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، (مرجع سابق)، ص 57 – 28.

- في الأطعمة و الخضر والفواكه:

- لنجاص: الإيجاص .
- أعنب: العنب.
- ثوم: الثوم.
- لحم: اللحم.

- أسماء بعض الحيوانات و الطيور:

- اجراد، بغل، بقره، لحمار، اخروف.وكلها لها نفس المعنى في الفصحى..
- دبان: ذباب.[1]

ويقولون: (كدا، وكِده، وجدي، وجديه، وهجدي) وكلها محورة عن كلمة هكذا.

ويأخذون كلمة (طشاش) فيقولون: طشطشت الغيمة أو طشطش المطر. وتعني في الفصحى المطر الخفيف.[2]

ومع وجود هذا القسط الكبير من المفردات في العامية الحالية وهي فصيحة أو قريبة جدا من الفصيحة من ألفاظ التخاطب اليومي،في وقتنا الراهن فإن هذا لن يفيد الأمة العربية شيئا مادام الأداء أي كيفية النطق و التعبير عامة لا يخضع لنواميس العفوية اللغوية التي تتصف بها كل اللغات التي ينطق بها يوميا، وفي الحاجات العادية، و في حالة الأنس.[3]

ومع أن هذه الألفاظ فصيحة إلاّ أنها إذا ما استعملت في سياقها العامي فستكون بعيدة كل البعد عن الفصاحة، لأنها غير خاضعة للنظام النحوي و الصرفي الذي تقوم عليه اللغة العربية الفصيحة.

---

[1] ينظر،حسين بن زروق،العامية الجزائرية وجدورها الفصيحة،أطروحة مقدمة لنيل درجة في اللسانيات العربية،غير منشورة،جامعة الجزائر،ت2005م ـ 2006م

[2] ينظر، أحمد المعوتق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 149.

[3] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (مرجع سابق)، ص 74 .

وأما السبب الأخر الذي يبعد لغة التخاطب عن الفصاحة هو دخول بعض الألفاظ الأجنبية عليها، واستبدلوا الألفاظ الفصيحة بهذه الألفاظ الدخيلة ومن ذلك قولهم عند التحية: واش راك صفا فاستعملوا لفظة صفا بدلا من كلمة بخير العربية الفصيحة[1]، وهاتف ببورتابل.

ويقولون: ركبت في البيس أو الأوتوبيس، وأخذت المريض من لكلنك، و أدخلته الهاسبيتول أو لسبيطار[2]، ويقولون أيضا ركب لي لبياسه، وهات المانيفيل ،وزيدلي لَكْرِيْك....

وهكذا دواليك كلمة عربية وأخرى أجنبية، مع أن الألفاظ المذكورة يوجد لها مقابل في العربية أو أوجدوا لها مقابل معرب بما يوافق معايير اللغة.[3]

وعليه فلا يمكن الحديث عن وجود لغة فصيحة في الاستعمالات اليومية إلاّ نادرا بسبب طغيان العامية، وهي تختلف عن الفصحى خاصة من جانب القواعد النحوية، و الصرفية وكذلك بسبب دخول الألفاظ الأجنبية على هذه اللغة.

---

[1] ينظر، صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية، (مرجع سابق)، ص 65.

[2] ينظر، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، (مرجع سابق)، ص 172.

[3] ينظر، مختار نونيوات، الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها،المجلس الأعلى للغة العربية،الفصحى وعامياتها، (مرجع سابق)، ص 137.

خلاصة:

وصفوة القول وما نستخلصه من حديثنا عن استعمالات الفصاحة في كل من دور التعليم، ووسائل الإعلام وكذا التخاطب اليومي أن العربية في وضع يدعو إلى القلق بل الانزعاج، فالجو اللغوي العام هناك ما يزال مشحونا بأخلاط الكلام في الأفنية، و الفصول، والمدرجات أحيانا مع توظيف قليل للعربية الفصيحة، و العربية بفروعها المتعددة محسوبة مادة واحدة منقوصة القدرة والاهتمام من حيث الأوقات المخصصة لها و العلامات المرصودة لها في الامتحان، وفي كثير من الأحيان تقدم مادتها بأسلوب عربي معوّج، مشحون بالعاميات.

أما عن مهارات اكتساب اللغة وتعليمها فهي غائبة تقريبا فالاستماع إلى عربي فصيح نادر. هذا الوضع غير المقبول ينطبق على وضع العربية في الكليات المتخصصة بل قد يزيد سوء.

ونرى أن معلم العربية يخرج من الأقسام المتخصصة خالي الوفاض من بضاعته الأصلية، وهو بذلك يحتاج إلى نظرة وعلاج في حالته أي ينبغي أن نهتم بالمعلم علميا وفنيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاد.

أما عن وسائل الإعلام فقد أثرت هذه الأخير على استعمالات الفصاحة الحديثة، تأثيرا سلبيا أو ايجابيا، فإذا ما أسقطنا هذا التأثير على الفصاحة الموروثة فسيكون تأثير سلبيا أكثر مما هو إيجابي، بسبب استعمال هذه الوسائل للعامي و الدخيل و الترجمة الحرفية، وإهمالها للفصاحة فأدى ذلك إلى ضعف الأسلوب، وركاكة التعبير ووقوع الصحافيين في أخطاء لغوية عدة قد تكون معجمية أو صرفية أو نحوية، وأما عن الدور الإيجابي لهذه الوسائل فيمثل في ظهور الفصحى المعاصرة التي تتميز ببساطتها،و اعتمادها على الجمل الخبرية، وسرعة فهمها، تستقي قوالبها و أنماطها من قوالب اللغة الفصحى، تستعمل كثيرا في الصحافة وفي بعض برامج الوسائل المرئية والمسموعة.

ولكن رغم هذا فهي لا ترقى إلى اللغة الفصحى الموروثة و ليس وضع الفصحى في الاستعمال اليومي، بأحسن حظا منه في التعليم ووسائل الإعلام، إن لم يكن أسوء، بسبب طغيان المستوى العامي على لغة التخاطب، ودخول بعض الألفاظ الأجنبية عليه فغيبت الفصحى تماما إلاّ في بعض الألفاظ التي ثبت أنها ذات جذور فصيحة.

الخاتمة

الخاتمة:

و بعد هذا العرض لبحثنا: " مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية الحديثة " فإننا سنستعرض فيما يلي نتائج البحث التي توصلنا إليها و هي:

– أن مادة فصح تشتمل على مدلولات متعددة منها الحسي، ومنها المعنوي.

– أما الدلالة الحسية فهي إطلاق لفظ(فصح)أو (أفصح) أو (مفصح) على اللبن الذي خلص مما يشوبه.

و أما الدلالة المعنوية فإن ما تشتمل عليه مادة (فصح) يكاد لا يخرج عن المعاني الأساسية التالية:(خلوص الشيء مما يشوبه، البيان، الوضوح، الخلوص من اللحن و طلاقة اللسان، و الظهور).

– أن فصاحة القرآن الكريم هي من العوامل الأساسية التي تفسر إعجازه، بدليل أن الله سبحانه و تعالى مدحه بالبيان و الإيضاح و الإفصاح .

– الرسول صلى الله عليه و سلم هو أفصح الخلق بدليل أحاديثه، و أقوال الصحابة و شهادات أهل العلم فلا خلاف في أنه صاحب ميزة في الفصاحة.

أما في الفصل الأول: مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية القديمة. فقد تبين لنا ما يلي:

– مصطلح الفصاحة وما يشتق منه كان يقصد به عند اللغويين صفة من ترتضى عربيته و ذلك بأن تكون لغته من الكلام المستعمل، بعيدة عن اللحن الناتج عن الاختلاط، موافقة للغة القرآن.

– أما البلاغيون القدامى فقد اختلفوا في نظرتهم للفصاحة، فهناك من جعلها في اللفظ و هناك من جعلها في التركيب.

– الفصاحة البلاغية شديدة الصلة بالفصاحة اللغوية فمعظم شروطها تتفق مع شروط الفصاحة اللغوية.

– مفهوم الفصاحة عند المتأخرين استقر و نضج فترسخت دعائمه.

و في الفصل الثاني: مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية الحديثة: وقد ظهرت لنا أيضا جملة من النتائج أهمها:

– من اللغويين المحدثين من اتبع آراء القدامى في حديثه عن الفصاحة فمفهومها عندهم لا يخرج عما اختطه الأوائل من شروطها و مقاييسها.

– هناك من اللغويين من شكك في المقاييس الزمانية و المكانية للفصاحة و رفضها و قال أن اللغويين القدامى ربطوا بينها و بين الجنس العربي.

– من البلاغيين المحدثين من تابع القدامى في تناولهم لمفهوم الفصاحة وذلك بشرح آرائهم و التعليق عليها، وهناك فريق آخر خرج عنه و حاول عرض أفكار مختلفة فهناك من رفض مصطلح الفصاحة مقتصرا على مصطلح البلاغة ومنهم من استبدله بمصطلح الجرس.

– من اللغويين و البلاغيين من سوى بين الفصاحة و البلاغة و جعلهما شيئا واحدا، و منهم من حاول الفصل بينهما وجعل لكل مصطلح كيانه الخاص على اعتبار أن الفصاحة تكون في الألفاظ و البلاغة تكون في المعاني.

أما في الفصل الثالث: الفصاحة في الاستعمالات المعاصرة: فقد توصلنا إلى النتائج التالية:

– اللغة العربية في الاستعمالات الحديثة مستويات (عربية فصيحة، و عربية عامية، وعربية وسطى).

– الفصحى في المؤسسات التعليمية لا توظف إلا قليلا و ذلك بسبب التلوث اللغوي الذي دفعت به و آثرته عوامل كثيرة.

– سوء المناهج و طرق تدريس مادة اللغة العربية و كذا تطبيق النظريات الغربية على اللغة العربية تطبيقا عشوائيا أدى إلى تدني مستوى الفصحى في المؤسسات التعليمية.

– للمعلم و المتعلم دور في تراجع مستوى الفصحى في المؤسسات التعليمية و ذلك لعدة أسباب أهمها استعمال العامية في التواصل بينهما.

– لغة الإعلام في عصرنا تخلوا أو تكاد تخلوا من الفصحى فهي لا تستعمل إلا قليلا في بعض البرامج الثقافية، وفي المسلسلات الدينية، وفي الأخبار، وفي الصحافة.

– انتشار العامية و الدخيل و الأخطاء النحوية و الصرفية و الدلالية في وسائل الإعلام.

– ظهور اللغة المعاصرة أو اللغة الثالثة في وسائل الإعلام و هي لغة بسيطة تستقي قوالبها، وأنماطها من اللغة الموروثة.

– ظهور مستويات عدة في اللغة العربية في وسائل الإعلام العربي منها (مستوى الفصحى السليمة، مستوى الفصحى العربية السليمة، و مستوى الفصحى الناقصة، و مستوى العامية العامة، ومستوى العامية المحلية، ومستوى الفصحى المشوبة بالأجنبية ومستوى العامية المشوبة بالأجنبية).

– طغيان المستوى العامي على لغة التخاطب اليومي و دخول بعض الألفاظ الأجنبية عليه أدى إلى غياب الفصحى وتدني مستواها.

و في الأخير لا نزعم أننا أحطنا و ألممنا بكل جوانب الموضوع و توصلنا إلى أحكام مطلقة، إنما هذا البحث هو محاولة متواضعة منا، فقد عرضنا الموضوع للبحث و الدراسة بما توصلنا إليه من نتائج تجعل الباحثين في المستقبل يواصلون البحث فيه.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

1. المصادر:

1. ابن الأثير(أبو الفتح ضياء الدين)، المثل السائر، تحق، محي الدين عبد الحميد، مطبعة المصطفى البابلي الحلبي، د.ط، د.ت.
2. ابن السكيت (يعقوب أبو يوسف)، إصلاح المنطق، تحق، أحمد شاكر و عبد السلام هارون، دار المعارف، د.ط، د.ت.
3. ابن المفضل (بن أحمد الميداني)، مجمع الأمثال، نحق، جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت لبنان، ط 1، ت 2002م، مج 2.
4. ابن جني(أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحق، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، د.ط ، د.ت، ج2.
5. ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا)، مقاييس اللغة، تحق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب، بيروت، ط 1، ت 2008 م ، مج 2.
6. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق، سامي بن محمد، دار طيب للنشر، الرياض السعودية، ط 2، ت 1997.
7. ابن معتز، ديوان ابن معتز، تحق، يوسف شكري فرحات، دار الجير، بيروت لبنان، ط 1، ت 1995م.
8. ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحق، عزة حسين، دار صادر، بيروت لبنان، ط 1، ت 1962.
9. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر. بيروت لبنان، د.ط، د.ت، مج 2.
10. أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحق، علي فاغور، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط3 ت 1995م.

- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر):

11. البيان و التبيين، تحف، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط 7، ت 1998م، مج 1.2.

12. الحيوان، تحق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط 3، ت 1969م، ج1.

13. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تحق، محمود شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة مصر، ط 3، ت 1992م.

14. الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تحق، أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 4، ت 1990م، مج 4.

15. حميد بن ثور الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحق، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، ت 1995.

16. الخفاجي (ابن سنان)، سر الفصاحة ، تحق، داود غطاثة، دار الفكر، عما، الأردن، ط1، ت 2006م.

17. الخليل بن أحمد الفراهدي، العين، تحق، عبد الحميد هنراوي، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط 1، ت 2003م، مج 3.

18. الرازي (فخر الدين)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الأدب ، القاهرة، مصر، د ط، ت 1987م.

- الزمخشري (جار الله):

19. أساس البلاغة، تحق، محمد باسل عيون السود، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ت 1998م، ج 2.

20. الكاشف، تحق، عادل أحمد و علي المعوض ، مكتبة العابكان، ط1، ت 1994م، ج4.

21. السخاوي (علم الدين)، جمال القرآن و كمال الإقراء، تحق، عبد الحق القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط1، د.ت، مج 1.

22. السكاكي (أبو يعقوب بن أبي بكر)، مفتاح العلوم ، مطبعة اليمنية، مصر، د.ط، د.ت.

23. سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان)، الكتاب، تحق، السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط 3، ت 1988م ، ج 1.2.3.4.

24. السيوطي و المحلي (جلال الدين)، تفسير الجلالين، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط1، ت 2007م.

25. الشافعي (الإمام)، تفسير حدائق و الروح و الريحان، تحق، هشام مهري، دار طوق النجاة، بيروت لبنان، ط 1، ت 2001م، مج 21.

26. الطبري (أبو جعفر بن جرير)، جامع البيان في تفسير القرآن، تحق عبد الله تركي، دار هجر، د.ط ، د.ت ، مج 18.

27. العسكري (أبو هلال)، الصناعتين، تحق، علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، ت 1952م.

28. القزويني(الخطيب)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ت 2003م.

29. المتنبي (أبو الطيب)، ديوان المتنبي، تحق، مصطفى السقا، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 2، ت 2008م.

30. النيسابوري (أبي الحسن علي)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحق، عادل أحمد وآخرون، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ت 1994م ،مج3.

2. المراجع:

31. إبراهيم الحاج (وليد)، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، ط.1، ت2011م.

32. أحمد(أمين)، النقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، د.ط، ت 1952م.

33. أمين (مصطفى)، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، ط .5، د.ت.

- أنيس (إبراهيم):

34. في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، ط.3، ت 1965 م.

35. من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، ط.6، ت 1978 م.

- بشر (كمال):

36. اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت.

37. دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت.

- بلعيد (صالح):

38. اللغة العربية العلمية، دار هومه، الجزائر، د.ط، ت.2003م.

39. ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية، دار هومه، جزائر، د.ط، ت.2009 م.

40. لغة الصحافة، دار الأمل، تيزي وزو، ط.2، ت.2001م.

41. التطاوي (عبد الله)، اللغة والمتغير الثقافي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط.1، ت.2005م.

42. تويمي (حميد آدم)، البلاغة العربية، دار المناهج، عمان الأردن، ط.3، ت. 2007م.

- الحاج (صالح عبد الرحمن):

43. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، ت.2007م.

44. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، ت.2007م. ج.1.

45. بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، ت.2007م.

46. حسن عبد الله(محمد)، مقدمة في النقد الأدبي، مطبعة الحرية، بيروت، ط.2، ت.1975م.

47. حسين عباس (فضل)، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان اليرموق، ط.4، ت. 1997م.

48. الحمزاوي(محمد رشاد)، الفصاحة فصاحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط.2، ت. 1986م.

49. الخولسي (أمين)، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعارف، د.ب، ط.1، ت.1961م.

50. داغر (أسعد خليل)، تذكرة الكاتب، مؤسسة هنداوي، القاهرة مصر، د.ط، ت .2012م

51. الربيعي (حامد صلاح)، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، مكة السعودية، د.ط، ت.1996 م.

52. الشيخ أمين (بكر)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، مطبعة العلوم، لبنان، ط.1، ت.1979م، ج.1.

53. الصعيدي (أديب) ،بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، ت.1971م.

54. صيف (شوقي)، البلاغة التطور والتاريخي، دار المعارف، القاهرة، ط.9، د.ت.

55. الطيب(عبد الله)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الأتاد الإسلامي، الكويت، ط.3، ت.1989م، ج2.

56. عبد التواب (رمضان)، فصول في العربية، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط.4، ت. 2001م.

57. عنتر (نور الدين) علوم القرآن، مطبعة المصباح، دمشق، ط.1، ت.1993.

58. الغمرة (إسماعيل)، التعليم بالغة العربية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط.1، ت.2009م.

59. قليقلة(عبد العزيز)، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط.3، ت.1992 م.

60. الكواز (محمد كريم)، الفصاحة في العربية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط.1، ت.2002م.

61. اللبان(إبراهيم)، نظرة نقدية في مبادئ بلاغية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمرية، القاهرة، د.ط، ت. 1963م.

62. المراغي (مصطفى)، علوم البلاغة مكتبة محمودية التجارية، مصر، ط.5، د.ت.

63. محمد (أحمد قاسم)، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط.1، ت. 2003م.

64. محمد (ضاري حمادي)، في الثرات العربي/ منشورات وزارة الإعلام، العراق، د.ط، ت. 1975م.

65. محمد (عبد الفتاح) ، الفصيح في اللغة ونحو، دار جرير، عمان الأردن، ط.1، ت.2008م.

66. مطلوب (أحمد)، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط.1،ت .1980م.

67. المعتوق (أحمد)، نظرية اللغة الثالثة، مركز الثقافي العربي، الدار البيضة المغرب، ط.1، ت.2005م.

68. الميداني (عبد الرحمن)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق ، سوريا، ط.3، ت. 1996 م.

69. نفوس (زكريا سعيد)، تاريخ الدعوة إلى العامية، وأثارها في مصر، دار النشر الثقافية بالإسكندرية، مصر، ط.1، ت.1964م.

70. الهاشمي (أحمد)، جواهر البلاغة، مطبعة الساعدة، مصر، ط.12، ت. 1960 م.

71. وهبة (مجدي): معاجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، دار صادر، بيروت لبنان، ط.2، ت 1994م.

72. اليازجي (إبراهيم)، لغة الجرائد، مطبعة مطر داخل المرور، الإسكندرية، مصر، ط .1، د.ت.

3. الدوريات والرسائل الجامعية:

73. بلعيد (صالح)، دفاعا عن وسائل الإعلام، المجلس الأعلى للغة العربية، دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربيو وترقيتها، الجزائرن ت.2004م.

74. بن رزوق (حسين)، العامية الجزائرية وجذورها الفصيحة، أطروحة مقدمة لنيل درجة في اللسانيات العربية، غير منشورة، جامعة الجزائر، ت.2005-2006م.

75. علي الفيل(توفيق) ، الفصاحة مفهومها، حوليات كلية الأدب، جامعة الكويت، الرسالة السابعة والعشرين، الحولية السادسة، د.ط، ت.1985م.

76. نهاد(الموسى) الفصحى والعامية بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، المجلس الأعلى للغة العربية، الفصحى وعاميتها، منشورات المجلس، ت.2008م.

77. نويوات(مختار) ، الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، الفصحة وعاميتها، منشورات المجلس، ت. 2008م.

فهرس
الموضوعات

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: مفهوم الفصاحة

I. المدلول اللغوي للفصاحة.....04

1. في معجميات اللغة 04

2. في القرآن الكريم:.....06

3. في الحديث 08

4. في الشعر 09

5. في المثل 10

II. المدلول الاصطلاحي للفصاحة 12

1. فصاحة القرآن الكريم وإعجازه 13

2. فصاحة الرسول على الله عليه وسلم 15

الفصل الاول :مفهوم الفصاحة في الدراسات اللغوية القديمة

المبحث الأول: الفصاحة عند اللغوين 17

1. سيبويه.....17

2 . ابن السكيت.....20

3 . ابن جني.....23

المبحث الثاني: الفصاحة عندالبلاغيين. 27

1. الجاحظ 27

2. أبو هلال العسكري 30
3. ابن سنان الخفاجي 31
4. عبد القاهر الجرجاني 39
5. السكاكي 46
6. ابن الأثير 47
7. القزويني 49

الفصل الثاني : الفصاحة في الدراسات اللغوية الحديثة

المبحث الأول :الفصاحة عند اللغويين المحدثين.....56

1 ابراهيم اليازجي.....56

2 أسعد خليل داغر.....58

3- مصطفى جواد.....61

4- محمد ضاري حمادي 62

5- عبد الرحمن الحاج صالح.....63

6- إبراهيم أنيس. 69

7- رمضان عبد التواب 72

8- تمام حسان. 73

المبحث الثاني : الفصاحة عند البلاغين المحدثين 76

1- عبد الرحمن جنكة.....76

2- عبدو عبد العزيز قليقلة.....77

3- أمين الخولي.....78

4- أحمد مطلوب.....80

5- عبد الله الطيب.....82

6- توفيق الفيل. 83

المبحث الثالث: بين الفصاحة و البلاغة 86

1. التقاء الفصاحة بالبلاغة 87

2. انفصال الفصاحة عن البلاغة.....88

الفصل الثالث: الفصاحة في الاستعمالات المعاصرة

المبحث الأول: إستعمال الفصاحة في المؤسسات التعليمية.....95

1.المادة و المنهاج.....96

2.المعلم و المتعلم.....100

المبحث الثاني: استعمالات الفصاحة في وسائل الإعلام.....104

1- الدور السلبي لوسائل الإعلام 104

2- الدور الايجابي لوسائل الإعلام.....109

3-مستويات اللغة العربية في رسائل الإعلام العربي.....112

المبحث الثالث: الفصاحة في التخاطب اليومي.....114

ألفاظ عامية فصيحة 114

ألفاظ عامية مشوبة بالأجنبية 116

الخاتمة 119

قائمة المصادر والمراجع.....122

فهرس الموضوعات 128